صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

شارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٢٠ « القاهرة في يوم الاثنين غرة جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ — ١٩ يناير سنة ١٩٥٣ — السنة الحادية والعشرون

فهرس العدد

٤٠٠٦

الأدب الشعبي

للأستاذ محمود تيمور

جرى الاصطلاح بإطلاق صفة «الشعبي» على الوضيع والرخيص أو ما دون المستوى الرفيع

نقول: فكرة شعبية، أي أنها مشوبة بمطاوعة الأهواء والنزوات، لا سلامة فيها ولا سداد

ونقول: نكتة شعبية، نريد أنها لا تخلو من تبذل وإسفاف

ونقول: طعام شعبي، نعني أنه ساذج في مظهره، غير متقن ولا مستساغ

ونقول: ثوب شعبي، للدلالة على أنه من نسيج غير فاخر، ولذلك يرخص ثمنه، ولا يعز على المقلين شراؤه

ونقول: مسرح شعبي، فيفهم عنا السامع أنه مسرح لجمهور العامة، لا يتذوقون فيه شيئا من الأدب السري والفن الرفيع

فكل ما هو منسوب إلى الشعب محمول عليه مجانبة

السمو والأصالة والجودة ، مفروض فيه الابتذال والتفاهة والهوان

فهل صحيح ذلك فى ميدان الأدب على وجه خاص ؟

هل «الشعبية» فى الأدب أن يتصف بالابتذال والضعة ، وأن تجانبه خصائص الأدب الرفيع فى التفكير والتصوير والتعبير ؟

أما الأمر الواقع فبين ظهرانينا نتاج أدبى يشيع الآن فى بعض طبقات الشعب بقدر كثير أو قليل ، ومعظم هذا النتاج ضئيل الحظ من رفعة الفن وسموه ، سقيم الأداء ، لا يخلو من تبذل وإسفاف ، ولكن تسميته بالأدب الشعبى ظلم عظيم ، فإن صفة هذا الأدب تلحق بأصحابه لابالشعب ، ثم بالذين تقف بهم ملكاتهم وقرائحهم ومواهبهم فى مستوى محدود ، فتتقاصر عن أفق الفن الرفيع ، فإن دل أدبهم على شئ فإنما يدل على مستويهم ومزاجهم لا على مستوى الشعب ومزاجه

حقا إن هذا اللون من النتاج الأدبى يلاقى من أفئدة السواد هوى ، ويصادف من الجمهور مزيد إقبال . ولكن هذه الظاهرة ليست فيها حجة على الشعب ، فالنفوس بطبيعتها يستهويها ما يرضى بعض الغرائز القريبة الاستجابة وما يلائم النزوات التى تتساور الإنسان فى أطوار حياته ، فإذا قدم لها شئ من ذلك فى مختلف شؤون الحياة أقبلت عليه ، وانساقت معه ، إلا أن يعصمها من ذلك حسن التنشئة والترويض . ولا ريب أن الرياضة الأدبية والعمل على السمو بالأذواق والتوجيه التهذيبى العام ، خليق أن يجعل من الشعب عنصرا صالحا يستعصم على الابتذال فى الأدب ، فيعزف عما يقدم إليه مما ينطوى على شذوذ وانحراف أو تهافت وإسفاف

والقول الذى يجب أن يكون مردودا على صاحبه ، هو القول بأن الشعب لا يستطيع استساغة لون من الأدب ، إلا هذا اللون التافه الوضيع ، فالطعام الجيد الهنئ الكريم المنضر : من يأنفه ؟ ومن لا يألفه ؟

لقد آن لنا أن نصحح الوضع فى معنى الأدب الشعبى ، فما ذلك الأدب الشعبى فى الحق إلا الأدب الفنى الرفيع الذى يستلهمه الفنان من روح الشعب ومن مختلف بيئاته ، فيعبر به عن مشاعر هذه الأمواج المتدافعة من الناس فى ملتطم الحياة ، وإن هذا الأدب الشعبى ليمثل الجانب الأكبر من الأدب الحى الخالد فى كل أمة من الأمم ، وفى كل عصر من عصور البشر

تلك هى روائع الأدب العالمى الباقية على الزمن ، ليست أصولها إلا أساطير الشعب وأقاصيصه ، فالإلياذة والإنيادة والمهابهاراتا والشاهنامة وألف ليلة وليلة ، إنما هى كتب شعبية تعبر عن نفسية الشعب فى مجموعه ، وتسجل أصداء صوته ، وتصور ما ظهر وما بطن من نزعاته ونزواته . وما خلدت هذه الأعمال إلا بأزبيها وبين الناس وشائج موصولة عى الوشائج الإنسانية الخالدة .

وما نجح « شكسبير » و « جوته » و « دانتى » و « موليير » و « تاجور » و « تشيخوف » وأضرابهم من أفذاذ الأدب فى الأمم إلا بأنهم يخاطبون الشعب كله ، ويجلون ما يختلج فى قلبه ، فى أداء صادق واستلهام أمين ، فهم فنانون عظماء بأنهم استطاعوا أن يتملكوا ناصية الجمهور الزاخر ، وأن يندسوا إلى أعماق نفسه ، فيكون بينهم وبينه تجاوب عميق .

وإليك « القرآن » العظيم مثلا رفيعا للعمل الفنى ، ففيه تصوير رائع لهذه البشرية فى متباين عواطفها ومختلف منازعها ، فيه يجد كل نفس مناها ، وقد هبطت آياته على الشعب بلغة الشعب ، وعمت رسالته الناس كافة ، فكان له وقع السحر ، وظل على الدهر رمزا خالدا للأدب الحى ، لا يفتأ يثير فى نفوس الناس على تباين مراتبهم ألوان المشاعر والأحاسيس .

ما تعريف الأدب ؟

إن هو إلا تعبير فنى بالكتابة والقول ، مثله كمثل

التصوير والغناء والموسيقى والرقص ، فالتصوير تعبير فنى بالرسم والتلوين ، والغناء تعبير فنى بالتنغيم والتطريب ، والموسيقى تعبير فنى بالجرس والرنين ، والرقص تعبير فنى بالحركة والإيقاع .

تلك هى الفنون التى يعد فى جملتها الأدب ، فالأدب فن والأديب فنان ، والفن للروح لا للعقل ، وللنفس لا للذهن. ومن ثم كان الأدب لونا من الألوان التى تخاطب العاطفة والشعور والوجدان ، والناس أجمعون قادرون على أن يفهموا هـذا الخطاب ، فهم سواء فيما انطوت عليه جنوبهم من وجدان وشعور وعاطفة ، وإنما يمايزون فى العقول والأذهان ، ويتفاضلون بالمنطق واستظهار الحقـائق ، وليس شئ من ذلك يتعلق به الأدب أو يتخذه له هدفا

القارئ الذى لا تسمو عقليته ، ولا تـكتمل ثقافته ، يتعاصى عليه أن يأخذ فى شئ من العلم الذى يقوم على استقراء واستنتاج ، مما يخاطب العقل ، ويتطلب جودة الذهن ، وسعة النظر ، ولـكنه لا يتعذر عليه أن يتأثر بالأدب الفنى الرفيع ، مادام فن الأدب تعبيرا عن الحياة فى صورة تتصل بالنفس وتساير العاطفة وتخاطب الوجدان .

ليس الأديب بمكتشف حقيقة من الحقائق ، أو مبتدع حـكمة من الحـكم ، أو مزاول تجربة من التجارب ، فالحقائق والتجارب والحـكم متماثلة متعارفة ، لا تزيدها الأدب شيئا ، ولا يضيف إليها جديدا ، وإنما هو يستخلص شذورها من بين الأخلاط والشوائب ، ويلم شملها من فرقة وشتات ، ويحسن انتزاعهـا والتقاطها من مضطرب الحياة فى صور فنية جميـلة ، كما يلتقط الجهاز الـكهربى ذبذبات صوتية معينـة فى أفق عريض يعج بأمواج متلاطمة من الأصوات .

لا ضرورة ثمة إلى أن يـكون الشعب مثقفا لـكى يفقه الأدب الفنى ويستسيغه ويتأثر به ، فحسب الشعب أن يكون سرى العاطفة ، قوى البصـيرة ، ذكى القلب ، نقى الذوق ، وأذن يسمعه أن يتقبل الأدب الفنى بقبول حسن ، ويحله منه المحل الـكريم .

رب فلاح أمى فى بطن الريف يعقب على الأحـداث بجملة فإذا هى مثل سائر ، ويخوض فى الحديث بكلمة فإذا هى من جوامع الـكلم ، ويهزه الطرب أو يروعه الفزع فيرسل الأنشودة فإذا هى فن ، ويدنيها فإذا هى لحن ... ولا شئ من ذلك يبعث على عجب . فما الأغنية أو الأنشودة أو الحـكمة أو المثل إلا تعبير عن الحياة من فيض العاطفة ووهج الروح وهذه الروح والعاطفة كلاهما هبة الله للبشر لا يفتقران إلى معاناة العلم ، ومكابدة الدرس ، ولا يتوقفان على إكتساب الأقيسة المنطقية التى تحقق بها ظواهر الديش وطبائع الأشياء ، وتتألف منها صنوف المعارف والعلوم .

الأدب لا يقول لك : إعلم هـذا واعرفه ، ولـكن يقول لك : تأثر بهذا واستشعره . وعبثا تطلب من الأدب إن ابتغيت عنده أن يزيدك علما ومعرفة ؛ وإنما أنت راغب إليه فى أن يشيع فى أقطار نفسك الروعة والاهتيـاج ، ويملك عليك عاطفتك بالاستهواء ، فيهرب بك من حاضرك وينسيك ما أنت فيه ، ويمضى بك محلقا فى آفاق من الأخيلة والتصورات ، فأنت عنده طالب سلوة وتعزية ، أو مقتبس فرحة وابتهاج ، أو ملتمس لوعة وبكاء ، وساعة أنت تطلب منه أن تفكر أو أن تحـلم ... وفى ألوان الأدب ما ينيلك هذه المطالب جميعا

غاية الأدب إذن أن يروع ، ونعنى بالروعة إثارة المشاعر ونفض الإحساسات . ولا يكون هـذا إلا إن كان العمل الأدبى فنيا ، أى جميلا ، أى رائعا ... والأدب الفنى إنما يجمل وتكتمل فيه الروعة حين يتوافر له عنصر اللذة والإمتاع ، أو التسلية والترفيه ، فبهذا العنصر تحمل القارئ على أن يقرأ ، وتحبب إليه أن يتابع . فالاستجابة بين الـكاتب والقارئ شرط التواصل بينهما ، ولن يستجيب القارئ لكاتب إلا إذا فقد عنده ما يسعده ويمتعه ويؤنسه ،

والمقصود من الإيناس والإمتاع أن يبعث الكاتب عند القارئ نشطة الفكر وأن يلمس مشاعره ، وأن يثير فيه الإعجاب بالجمال

وإنك لا تبلغ مبلغ الاستجابة من نفس القارئ إذا جلوت له الواقع الذى يحيط به أحداثا كما هى فى مجمع الناس، فالواقعية البحت لا تخرج بالقارئ عن مشهوده المبذول ومسموعه المملول ، وكذلك لا تبلغ من نفسه ذلك المبلغ المنشود إذا نأيت به عن مألوفه فى دنياه ، وباعدت بينه وبين آفاق أفكاره وأخيلته ، وإنما أنت مصيب غرضك متى بعثت فى الواقع الميت حياة ، وصبغت الأحداث الجامدة صبغة الخيال ، فبذلك يسمو العمل الأدبى إلى المستوى الفنى ، فإذا هو فتنة تثير وجمال يروع

ربما عن لسائل أن يقول :

أنى للجماهير أن تستجيب للأدب الفنى الرفيع ، وهى محدودة الوعى والإدراك ، متخالفة الأذواق ؟

والجواب غير بعيد ، فالصورة الأدبية الفنية يأنس فيها كل ذوق ما يلائمه ويجد فيها كل امرئ ناحية يتأثر بها ويستجيب لها ، حسبما تعينه ملكاته ومداركه

الفنان العبقرى يرفع مصباحه الدرى ، مرسلا منه نورا أبيض وهاجا صافى الإشراق . وإن هذا النور الأبيض لينطوى على مختلف الألوان حينما يتحلل بالمنشور . والنفس البشرية منشور بلورى يتحلل به ذلك النور الوهاج ، فكل امرئ يشهد ما يرتاح إليه ، أو ما تستطيع عينه أن تراه . وفى أدب الفنان العظيم نور كامل تكمل فيه الأطياف جمعاء

وإنما يتفاوت الفنانون درجات بما يعوز أدبهم من ألوان هذه الأطياف ، فمنهم من يعوزه الكثير ، ومنهم من يعوزه القليل ، ولذلك نرى تأثير الفنان مقصورا على طائفة مخصوصة من الناس إذا كان أدبه مقصورا على بعض الأطياف التى تلائم تلك الطائفة وحدها . فأما الفنان الذى نفحته « عبقر » فإن أدبه تتكامل فيه أطياف النور على اختلاف الألوان ، فيه لكل طائفة أرب ، وعنده لكل ذوق متاع

وليس بكاف أن تبعث النور وهاجا متكاملا لكى تطمئن إلى إمكان الاستنارة به ، فلا بد من رعاية الطريقة التى يتجلى بها النور للعيون . لا بد من رعاية الزجاجة التى تنظم انبعاث الشعاع ، أعنى بها اللغة والأسلوب . وهنا تنجم عندنا مشكلة العامية والفصحى ، فالعامية لغة التخاطب فى الجمهور ، والفصحى لغة التدوين للأدب الفنى ، ولا تتحقق الاستجابة بين كاتب وقارئ إلا إن فهم القارئ ما دون الكاتب ، والواسطة بينهما لغة وأسلوب ؛ وذلك هو الحجاب بين الأدب الفنى والجمهور العام . وعلاج هذه المشكلة فى ناحيتين : الأولى تطويع اللغة حتى تكون صالحة لمخاطبة الشعب كله . والأخرى تعميم التعليم حتى تلتقى الأداتان : أداة الإسماع وأداة الاستماع ، أو كما يقول المهندسون : أداة الإرسال وأداة الالتقاط

***

حين يصدق الأديب الفنان فى استلهامه يخرج عملا فنيا ، وهو فى هذا العمل الفنى يجلو صورة الشعب . ولا غرو أن الشعب يستهويه أن يرى نفسه فى المرآة ، كما يلذ لكل امرئ أن يشهد شخصه فى رسم أو صورة . وأنت إذا صنعت تمثالا فنيا جميلا لفلاح فى حقل أو عمدة فى قرية ، وجدت من يروقه التمثال ومن يعجب به بين الفلاحين والعمد . وفى المتحف الزراعى المصرى قاعة ملئت بالتماثيل الملونة التى تصف مشاهد الفلاحة ومجالس الريف ، وإن الزوار والمتفرجين من المصريين ليقفون عندها طويلا بما يرونه من أبطالها ، ولعلهم هم أنفسهم أو أمثال الأبطال الماثلون

فالأديب الفنى فى مستطاعه أن يقدم عملا فنيا معبرا عن روح الشعب ، مستجيبا لما يجرى فى وليجة نفسه ، ولزام على الأديب إذا هدف إلى شئ من ذلك أن يكون من الشعب على مقربة . بل لا بد أن يحيا بين جوانحه ،

ويتدسس في صميمه . ويستجيب لذلك كله في صدق وإخلاص وإيمان . فهو من الشعب يأخذ ، وإياه يناجي . وما الشعب إلا نموذج من النفس البشرية بمـــا حوت من نوازع وخصائص وأطوار

حقا أن العمل الأدبي الفني لا بد أن تتجلى فيه فكرة أو رأي أو هدف ، ولكن هذه الفكرة في العمل الفني يجب أن تكون وثيقة الصلة بالنفس الإنسانية على وجه عام؛ فهي تفهم بالبصيرة لا بالعقل ، وما دامت الفكرة نابعة من قرارة النفس، منتزعة من صميم الحياة ، ملتقطة من جو البيئة ، فهي فكرة قديمة قدم الغرائز والعواطف والنزعات. وليس للأديب الفنان فيها إلا فخر إثارتها ، وفضل بعثها في ثوب جديد، والتذكير بها على نحو طريف . ونحن حين نعجب بفكرة أدبية جميلة فإننا لا نعجب بهـا إلا لأن الكاتب يزفها إلينا في إطار فني ، ويصورها لنا في معرض جذاب ، وقديما انتبه الشاعر العربي لذلك في قوله :

إنما تنجع المقالة في المرء إذا صادفت هوى في الفؤاد

إذا مس الأديب من النفوس وترا أرنت النفوس له واستجابت . وإذا أصابت المعاني شغاف القلوب خفقت القلوب لها واهتزت . وهذا « الراديو » ينقل لنا صورة صوتية لمجلس غنائي أنشدت فيه « أم كلثوم » قصيدة « لشوقي » وأهل المجلس من شتى الطبقات ، فهم نموذج شعبي صادق التمثيل للشعب ، وإنهم ليستمعون إلى الغناء فيبدو إعجابهم بقدر ، وما تكاد الشادية تبلغ في إنشادها قول الشاعر :

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

حتى تسمع « الراديو » قد أرعد بتصفيق هذا الحشد الزاخر إرعادا يصم الآذان ويشق العنان. وما كان ذلك إلا لأن هذا المعنى بخصوصه قد أصاب من الشعب شغاف قلبه ، ومس وترا حساسا في نفسه . فهذا الشعب قد عانى في دهره الأطول استلاب حريته ، واغتصاب حقوقه ، فهو مظلوم مهضوم ، تمنى العدل والإنصاف حتى سئم التمني، وطالب به حتى مل المطالبة ، وإنه لواجد في هذا البيت الشوقي الحكيم مناجاة له في محنته ، وتأييدا له في عزمته ، وحضا له على أن يبلغ ما يريد بقوة المصاولة والغلاب، لا بمنطق المناقشة والحجاج .

لا يقولن الكاتب إن الجمهور لا يفهم عني، وإنه أدنى مداركه مني ، فالكاتب إن استوعب في أدبه إحساس جمهوره ، وعبر عما يعتمل في بيئاته ، فالجمهور فاهم عنه ، مدرك منه . وعلة الجفوة بين الكاتب والجمهور أن يكون الكاتب قد اقتنص شعورا ليس بالشعور القوي في طوايا النفوس ، أو ليس بالشعور العام الذي ينتظم جماعات الناس، وإذن لا يحس الجمهور ما أحس الكاتب، ومن ثم لا تكون بينهما استجابة ، فلا تنبت بينهما ألفة .

ما أكثر ألوان الموضوعات التي تعرض للكاتب الأديب ، يجري بها قلمه ويبعث إليها أضواء فنه . وإن من هذه الموضوعات ما هو خاص أو أخص ، تتمثل فيه نزعات كثرة من الناس أو قلة . فهو عند هؤلاء الكثيرين أو القليلين أثير وهم إليه في الاختيار يجنحون ، ولكن ثمة موضوعات شاملة ، فيها نلتقي أشتات المطامع والميول، ولها من مختلف مشكلات الحياة وطرائق العيش نصيب ، فهي متصلة أوثق الاتصال بتلك التيارات العميقة العامة التي تجري في أوصال البشرية كلها ، لا تقتصر على جيل من الناس ولا تختص بعصر من عصور التاريخ فهذه الموضوعات الشاملة إذا زاولها الأديب الفنان امتد أثرها في كل جانب، وانبسط ظلها على كل ناحية ، واستوى في استشعارها بدوي وحضري ، وربما استجاب لها السويدي قريبا من القطب حين يستجيب لها الزنجي في خط الاستواء . فهي إلى العالمية أقرب ، وإلى الخلود أدنى

كلما عالج الأديب ناحية ينفسح نطاقها في مجتمع الناس

كان صوته أندى ، وأثره أشمل وأعمق . وذلك هـو أدب الحب يـتأثر بالحظوة العزيزة فى القصة وفى الشعر وفى غير ذلك من ألوان الأدب ، وهل كانت للحب تلك الحظوة إلا بأنه عاطفة إنسانية تلائم كل نفس ، وتطاوع كل هوى ، وأنه بضعة أصيـلة فى الطبع البشرى ينجم عنه كثير من العواطف والتأثرات ، فهو دعوة مستجابة ونداء مسموع ، وهو عند الجمهور العام مكفول له القبول

والتعويل كل التعويل على منهج المعالجة لأمثال هذا الموضوع الإنسـانى العام ، فقد يتناول موضوع الحب أديبان أحدهما غير فنان والآخر فنان أصيل . فأما غير الفنان فإنه يطرق الموضوع فى تصنع فيقلب الحقـائق ويزور الواقعات ويجتلب زائف المؤثرات ، ويفوته التهدى إلى بطائن القلب البشرى حين تعتمل فيه عاطفة الحب فإذا هو يخرج لناصورة شوهاء ، لأنها صورة مكذوب بها على الحياة والأحياء . فأما الأديب الفنان فإنه يطرق الموضوع عينه ، ولكن على بصيرة وهدى ، وفى أمانة وإخلاص ، فيخرج عمله صادق الوحى خالد الأثر .

البقية فى العدد القادم

محمود تيمور

فى فضل محمد (ص)

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

قرأت بشىء من التعجب مقال الكاتب الإسلامى محمد عبد الله السمان فى « المعانى الحية فى رسالة محمد » فإذا هو فى صميمه مقال فى شخصية الرسول (ص) وفى عظمته ، وإذا تحمسه لبعض النواحى العظمى للرسالة يحمله على إنكار بعض نواحى أدلة تلك الرسالة التى هى أيضاً بعض مظاهر عظمـة الرسول ، فى غلو فى التعبير جاء فيـه ما لا أشك أنه يعلمـه من أدب الإسلام فى الدعوة ، ثم هو بعد ذلك لا يصيب حقيقة عظمة الرسول

إن الرسول صلوات الله وسلامه عليـه متعدد نواحى العظمـة ، والإسلام الذى هو رسالة الرسول متعدد نواحى الدعوة تعدد نواحى الفطرة التى هو دينها . وليس الناس سواء فى تقدير تلك النواحى ، فمنهم الخواص الذين يكبرون ما أكبر الأستاذ ، ومنهم العوام الذين يقصرون عن ذلك ولا يكبرون ما دعا إلى إكباره من تحرير الإسلام العقول والنفوس إلا عن طريق إيمانهم بتلك النواحى التى لم يأبه هو بها والتى نعى على خطباء المساجد والسرادقات الإشادة بها فى احتفالات ذكرى ميلاد الرسول ، وأكثر شهودها هم العوام الذين أمر الرسول صلوات الله عليـه أن يخاطبوا على قدر عقولهم وإلا كان مخاطبوهم فتنة عليهم

ولو غير الأستاذ السمان نعى على المسلمين ما يمنون على الرسول صلى الله عليه وسلم بما أجرى الله على يديه من الخوارق لقلنا غير مؤمن بالخوارق والمعجزات ، ولـكن الأستاذ والحمد لله مؤمن مجاهد يؤمن بالقرآن وبما أثبت للأنبياء من معجزات أكرمهم الله وأيدهم بها لم تـكن لتثبت لهم فى عصرنا هذا إلا بالقرآن . والقرآن نفسه أثبت لمحمد صلوات الله عليه من المعجزات — إذا أغفلنا شرط التحدى فيها — ما شاء الله . أثبت له الإسراء فى سورة الإسراء ، والمعراج فى سورة النجم ، وانشقاق القمر فى سورة القمر ، إذا أخذنا الآيات على ظاهرها كما ينبغى ولم نلجأ إلى التأويل تهربا من إثبات إلا الأقل الذى لا بد منه من المعجزات ؛ فالتأويل لا يجوز إلا بقرينة حاملة ، والقرينة غير موجودة ، والحديث الشريف الصحيح يفسر تلك الآيات ويصف من تفصيلها ما أجمل القرآن . فهل تلك المعجزات يا ترى ليست من مظاهر عظمة الرسول ؟ بلى !

فإن الله الذى لا يقدر على إجرائها غيره أجراها تأييداً له أو تكريماً . وفى كل تعظيم للرسول أى تعظيم

والحديث الصحيح أثبت للرسول صلوات الله عليه خوارق كثيرة كمعجزات الأنبياء والرسل من قبله . منها حنين الجذع الذى كان صلى الله عليه وسلم يخطب عنده قبل اتخاذ المنبر . ومنها تكثير طعام جابر حتى أشبع جيش الخندق ، وتكثير اللبن حتى أروى أهل الصفة من قدح استقله أبو هريرة لنفسه وللرسول، وتكثير الماء فى الإناء حتى استقى منه جيش تبوك . ومنها رد عين أبى قتادة فى غزوة أحد أو بدر ، وإبراء عين على رضى الله عنه وعن أصحاب رسول الله أجمعين فى غزوة خيبر . وما من هذه إلا قد شهده الجم الغفير من الناس . فليت شعرى لماذا نؤاخذ الوعاظ إذا ذكروا الناس بما أكرم الله به نبيهم من تلك المعجزات فى ذكرى مولده الشريف ؟ أو لماذا ينعى على الناس استشعارهم السرور والفخر بنبيهم الذى أكرمه الله تلك الكرامة وأنزله تلك المنزلة ! لو أن أمثال الأستاذ السمان انتهزوا اهتزاز الناس ذلك وذكروهم بوجوب العمل بما أهملوه ونسوه من رسالة الرسول لكان خيراً للناس وأعظم أجراً له ولأمثاله . أما النعى على من يذكر الناس بناحية من نواحى عظمة الرسول يرى هو غيرها أكبر منها ، أو النعى عليهم إذا خرجوا من تلك الذكرى يعددون ما ذكروا به وازدادوا به إيماناً من تلك المعجزات، ففيه من الغلو والإسراف وتحجير الواسع ما فيه

وأعجب من هذا وأوغل فى الإسراف نعيه على « صنف » من المسلمين يفضلون محمداً على الرسل ، ويجعلونه إمامهم ويجعلون رسالته فوق رسالاتهم والمسلمون كلهم ذلك الصنف الذى زعم الأستاذ ومنهم الأستاذ السمان نفسه بما كتب فى مقاله من الناحية التى يعظمها ويكبرها . وإلا فأى الرسل أصلح الله به ما أصلح بمحمد صلوات الله وسلامه عليه ؟ وأى الرسالات بلغت مبلغ الإسلام وحققت ما حقق الله ، من تحرير العقول والنفوس فى الماضى ولا يزال يدعو إلى تحريرها من كل سلطان غير سلطان الله سبحانه خالق الكون وفاطر الناس ؟ وإذا كان الأستاذ يستشهد على من ظنهم خصومه من المسلمين بأن أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس أفلا يكون الرسول الذى أخرج الله على يديه تلك الأمة خير الرسل ؟

إن محمداً صلى الله عليه وسلم جمع الله له ما فرق فى الرسل . آتاه من المعجزات مثل الذى آتاهم ، وخصه صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم معجزة خالدة لا تضارعها معجزة ، وبدين شهد الله له بما لم يشهد به لدين قبله . شهد له بالكمال حين أنزل عليه فى الموقف فى حجة الوداع « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » . وشهد له صلى الله عليه وسلم بما لم يشهد به سبحانه لنبى قبله من عموم الرسالة وعموم الرحمة به فى قوله تعالى من سورة سبأ « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وقوله تعالى من سورة الأنبياء « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . وأمثال الآيتين فى القرآن الكريم كثير

والرسالة نفسها ليست مما لمحمد فضل فيه فإنه لم يأت بشئ منها . والآيات التى استشهد بها الأستاذ من قول الله لا من قول محمد كما يعلم الأستاذ طبعاً . فلو لم يشغله الحماس عن التدقيق لما خفى عليه أن مبادئ الإسلام نفسه ليس لمحمد فضل فيها إذ لم تكن من عنده ، وإذا كان هو مأموراً بالإيمان بها كغيره ، وإذ عاش فى قومه أربعين سنة قبل الرسالة لم يؤثر عنه أنه دعاهم فيها حتى إلى التوحيد ، وإن أثر أنه لم يسجد لصنم وأنه كان قبل الرسالة من الموحدين . فالثناء الذى أثنى به بعض المستشرقين عليه أنه كان من عظماء المصلحين ثناء مدخول كان

لا ينبغى أن ينخدع به الأستاذ لأن مبعثه اعتقادهم أن القرآن من تأليفه وأن الإسلام من وضعه . وكل ثناء عليه صلى الله عليه وسلم بغير النبوة والرسالة هو فى الواقع دون مقامه الكريم ولو كان ذلك الثناء أنه بطل الأبطال وأعظم المصلحين

إن حقيقة عظمته صلى الله عليه وسلم ليست فى الرسالة نفسها ولكن فى أنه أدى الرسالة على وجهها . فالرسالة من عند الله ليس لمحمد ولا لغيره منها شئ ولا له فى مبادئها فضل ، وإنما الفضل كله أنه أداها كما ينبغى أن تؤدى ، وتحمل فى أدائها كل ما تحمل ، ونهض بأعبائها نهوضا لم يكن لينهضه إلا من بلغ غاية كمال البشرية . وهذا هو ما يقصده الذين يقول الأستاذ أنهم يرفعون محمدا فوق مستوى البشر . وما مستوى البشر الذى يعرفه الأستاذ أو يمكن أن يعرفه فى تاريخ البشرية إذا قيس بالمستوى الذى بلغه سيد البشر وخاتم الرسل محمد بن عبد الله ؟

إن أعجب العجب أن يقوم فرد بأعباء دين أعجز البشرية أن تحمله وتقوم بأعبائه إلا مجتمعة ! والترقى داخل حدود الإسلام ليس له نهاية ، لأن حدود الفطرة نفسها ، إذ هو دين الفطرة بل نفس الفطرة التى فطر الله عليها الناس ، بشهادته سبحانه فى سورة الروم . وكل ما يمكن البشر أن يبلغه من الرقى فى الفطرة قد حققه الله للبشرية فى محمد ابن عبد الله رسول الإسلام الذى لا ينطق عن الهوى ، والذى صار كل عمل له سنة ، وكل قول له حجة لله على عباده ، لا عملا أو قولا لم يقره الله عليه فى حوادث معدودة نطق بها القرآن وأحاطت بها سنة الرسول . فكأنما أعد الله محمدا من بين البشر فى تاريخ البشرية المتطور للقيام بأعباء دين الله الكامل ؛ تلك الأعباء التى تفرق القيام بها فى الناس ، فى الصالحين وأولى العزم من المسلمين حتى صار المتأسى به صلى الله عليه وسلم عن اجتهاد وصدق فى صفة من صفاته مثلا يضرب فى مكارم الأخلاق إلى اليوم كما ضرب المثل فى أبى بكر وعمر وعلى ومن إليهم من الصحاب وممن تبعهم بإحسان . فالكمال البشرى قد جمعه الله لمحمد الفرد كى يستطيع أن يقوم بدين الله دين الفطرة والبشرية الكاملة . أفلا يكون صلى الله عليه وسلم لذلك أكمل البشر على الإطلاق

هذه نتيجة منطقية ليس عنها محيص ، وليس فيها انتقاص لأحد من الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فالله سبحانه قد فضل بعض رسله على بعض كما أخبرنا سبحانه فى آية تلك الرسل ؛ والحديث الذى ساقه الأستاذ السمان يشهد بذلك التفاضل . والأفضلية فى صفة غير الأفضلية فى مجموع الصفات . والنهى فى الحديث الكريم عن التخيير بين الأنبياء موجه فى الأصل إلى ذلك اليهودى لأنه هو الذى خير كما يتبين الأستاذ إذا رجع إلى الحديث . وجاء النهى عاما لحكمة غير نهى المسلم عن التعصب لأن المسلم فى الحديث لم يزد على أن أنكر أن يكون موسى أفضل من محمد . وما يوهمه الحديث خلاف ذلك ليس على إطلاقه ولكنه محدود بما ذكر فى الحديث . والثناء على موسى صلوات الله عليه بصفة تميز بها هو مثل فى التواضع ضربه الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته ليكون تشريعا فى مثل حادثته وهو يؤيد ما ذهبنا وتذهب إليه مع جمهور المسلمين من أنه صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى للبشرية حققه الله للناس تاريخا واقعا . والمثل الأعلى يقترب منه المجتهدون فى بلوغه اقترابا يطرد ما اطرد اجتهادهم من غير أن يبلغوه مهما اجتهدوا

وصلوات الله وسلامه على الرسول الكامل الذى حقق الله به وفيه الفطرة الإنسانية الكاملة محمد بن عبد الله

محمد أحمد الغمراوى

أبصر طريقك

للأستاذ محمود محمد شاكر

منذ ظهر دين الله في الأرض، وتدافعت أمواجه شمالا وجنوبا وشرقاً وغرباً، وضرب تياره أسوار العالم المحيط به، وطهر بلاداً كثيرة وغسلها مما فيها من الشرك والكفر والإهلال لغير الله سبحانه، أخذت تتجمع في أطرافه عداوة لا تنام، وبقيت هذه العداوة تنازل جنود الله عاماً بعد عام في ثغور الإسلام. ثم احتشدت هذه العداوات المتفرقة في الثغور حشدا واحدا، بدأت به الغزوات المتلاحقة التي عرفت في التاريخ باسم الحرب الصليبية. وظلت هذه الحروب مشبوبة قرونا طويلة، وأداتها السلاح والجيوش والوقائع

ثم انتهت حرب السلاح والجيوش، إذ وضع العالم الإسلامي سلاحه، بل أصح من ذلك، أن العالم الإسلامي يومئذ لم يكن معه سلاح يضعه أو يرفعه. وإذا كان فيه سلاح، فهو سلاح لا يغني عنه في لقاء هذه الأسلحة الجديدة، التي جاءت مع الغزاة. ومن يومئذ انتقلت الحرب الصليبية من ميادين القتال، إلى ميدان آخر: هو الحياة نفسها!

كانت خطة الحرب الصليبية الجديدة، هو دك الحياة الإسلامية كلها: تدك بناء هذه الحياة، وتدك علمها، وتدك آدابها، وتدك أخلاقها، وتدك تاريخها، وتدك لغتها، وتدك ماضيها. وفي خلال ذلك ينشأ بناء جديد لهذه الحياة، بعلم غير العلم الأول، وأدب غير الأدب، وأخلاق غير الأخلاق، وتاريخ غير التاريخ، ولغة غير اللغة، وماض غير الماضي. ويأتي يوم فإذا الهزيمة واقعة كما وقعت في الميادين. ويصبح العالم الإسلامي وليس معه من الحياة التي كان بها عالما صحيحا، إلا بقايا لا تغني عنه، كما أصبح يوما في ميدان الحرب، ومعه بقايا أسلحة لا تغني عنه شيئا

جاءت الغزوات الصليبية الجديدة متلاحقة سريعة نفاذة تنشر طلائعها الأولى في كل مكان، مزودة بالفهم والإدراك والمرونة، بطبيعة هذا الميدان الجديد، فتلقى قوما قد سلبوا الفهم والإدراك والمرونة لطبيعة هذا الميدان. ولكنهم كانوا بفطرتهم يعلمون أن هذه الطلائع عدو لهم، فقاومهم من قاومهم بما تستثيره الفطرة من بغض العدو والشك فيه، وإن جاء في ثوب المسالم والناصح. وتهاوى آخرون، فوقعوا في حوزة العدو، إذ غرتهم مسالمته وخدعهم نصحه، وظلت هذه الحروب دائرة بيننا وبينهم أكثر من مئة وخمسين عاما، في سكون وصمت، ولجاجة وحرص، وقوة وحذر، ومعرفة وبصر، حتى بلغ العدو منا مبلغا لم يكن في أول الأمر يظن أنه يبلغه. فقد تهاوى البناء كله فجأة. وأصبحت الحياة الإسلامية أطلالا يناديها الفناء فتجيب بلا مقاومة ولا عناد

ذهب كل شيء يكون للحياة البشرية قواما وعمادا: ذهب العلم والأدب والأخلاق واللغة والتاريخ، وجاءه الغزاة بما يحل مكانه من علم وأدب وأخلاق ولغة وتاريخ. ذهب الذي كان ينبع نبعه من كتاب الله، ومن حياة الأمة المسلمة، وسنة رسوله، وجاء الذي ينبع نبعه من الحياة الوثنية القديمة، ومن المسيحية المحدثة. ذهب الذي كان يتحدر إلينا كما تتحدر الوراثات من أصلاب الآباء إلى أصلاب الأبناء، وجاء الذي يتحدر إلينا كما يتحدر السيل الجارف لا يبقي ولا يذر. ذهب شيء وجاء شيء، فتغير نظرنا وفكرنا، وتغير إدراكنا ومعرفتنا، وتغير شعورنا وإحساسنا، وتغير لساننا وبياننا. فعدنا ننظر في الكتاب الذي هو كتابنا، وأخبار النبي الذي هو نبينا، وآثار الماضين الذين هم آباؤنا. فأنكرنا ما وجدنا في ذلك كله،

قطرحه منا من طرحه وراء ظهره ولم يبال به ، وتهيب منا من تهيب فوقف لا يدرى ماذا يفعل ، وبقيت طائفة لا تطرح ولا تهيب ، فطلبت مخرجا من هذا الشئ الذى تنكره إنكاراً خفيفا ، وهو فى هذه الصورة التى جاء عليها من التراث الماضى . فرأت المخرج فى تجديد التراث الماضى تجديدا مقاربا ، يطابق الحياة الجديدة من وجوه ، وينكر الحياة القديمة من وجوه أخرى

ومن يومئذ انقسم العالم العربى والإسلامى إلى طائفتين: طائفة منكرة لا تعبأ شيئا بالحياة الماضية كلها ، وطائفة لم يبلغ بها الإنكار أن لا تعبأ ، فلمست تجديد الحياة الماضية على أسس جديدة . وإذا هذه الأسس التى تريد أن تؤسس عليها ، هى فى جوهرها مستمدة كلها من الحياة التى أنشأها الغازى الصليبى بين ظهرانينا

* * *

هذه صورة مصغرة للحياة فى العالم الإسلامى الحاضر . لا يدركها المرء حتى يعلم أن العالم الإسلامى مقبل على خطر أبشع من خطر الغزو الصليبى الأول بالسلاح ، مقبل على هزيمة منكرة تكون عاقبتها تبديل الإسلام تبديلا كاملا حتى لا يبقى له من ظل الحق إلا ما بقى من ظل المسيحية الحقة فى العالم المسيحى الحاضر

ودعاة هذا التبديل ، علموا أو لم يعلموا ، قد تعاونوا فى كل مكان باسم الدفاع عن الإسلام ، وباسم إحياء الإسلام ، وباسم تجديد الإسلام . وهم يعملون جاهدين على أن ينشروا دينهم الجديد — كما ينبغى أن يسمى — بجميع الوسائل التى يظنون أنها تفضى بهم إلى الدفاع عن الإسلام أو إحيائه أو تجديده . وهم على مر الزمن ، سوف يتركون آثارا عميقة فى حياة العالم الإسلامى الحاضر ، وسيتبعهم تابعون يقتفون آثارهم ، مبعدين عن النهج الأول الذى بنى عليه هذا الإسلام الذى يدافعون عنه أو يحيونه أو يجددونه ! بل إن هؤلاء أنفسهم قد كانوا خلفاء لجيل سبق من قبلهم ، أعمته الحياة التى بهرت عينيه وزلزلت عقائده ، فطلب كما يطلبون ، الدفاع عن الإسلام وإحياءه وتجديده ، على أسس لم يستمد أصلها من الحق الذى فى دينه ، بل من أصل بعيد هو الحياة التى يحياها العالم الصليبى الذى غلب وقهر وظهر مجده فى هذه الأرض

إن هذا الوباء الذى يجتاح العقل الإسلامى والحياة الإسلامية ، قد نفذ إلى كل ركن فى هذا العالم ، وسارت حياه سورة مستبدة بكثير من رؤوس الدعاة . وانطلقت الألسنة مسرعة تريد أن تبنى بناء عقليا جديدا لهذا الإسلام الذى تهدم بناؤه القديم ، فما تجد لسانا إلا وهو يرسل طوفانا من الكلام بلا حذر ولا توقف ، وكل لسان يرى فى الذى يرسله مادة صحيحة لبناء هذا العالم المتهدم . وأصبح كل داعية إماما يقتدى به . والمقتدون به لا يعلمون شيئا إلا أن هذا السيل المرسل عليهم ، ليس إلا أصلا صحيحا من أصول هذا الإسلام الذى يدعوهم إليه . وكل داعية يظن نفسه ينبوعا يروى الظامئين ، يسألونه فيجيب ، فيطوفون به طواف الوثنى بالصنم . مادة علمهم أن يستمدوا منه ما يجود عليهم به . ولا يجد أحدهم متسعا أن يلتمس علمه إلا من فيض لسان هذا الإمام الداعى . والإمام مشغول بالتماس المعانى التى يفيضها عليهم ، وهم لا يسألونه من أين يأتى بها . وكل داعية مشغول بإعداد المادة لمن يتبعه ، لا يحذر ولا يخاف ولا يتحرى . وكل داعية مشغول عن الداعية الآخر ، لا ينظر فى أمره ولا يتعقبه ولا يقول له من أين جئت بهذا . بل لعله يغفل عن أفسد الفساد فى قوله وعمله ، وأقبح القبح الذى يبثه فى أتباعه ، لأنه يقول لنفسه إننا مشغولون جميعا برم هذا البناء الذى تهدم ، بل ببناء شئ هو خير من الذى تهدم . وكل داعية منهم هو فى الحقيقة منكر للحياة الأولى للاسلام ، ولكنه يريد أن يقاوم الفناء بأن يستخرج من نواحى هذه الحياة ما يقنع هو به ، ويقنع بعض الناس به : أن فى ماضى

من تاريخ الحروب الصليبية

صلاح الدين يفاوض الإنجليز

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

استعاد صلاح الدين بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، بعد أن ظل فى أيدى الصليبيين زهاء تسعين عاماً ، وقد أثارت عودتها إلى حظيرة الإسلام ثائرة فرنج أوربا ، وبذل رجال الدين كل جهد ، ليوقظوا غضب الجماهير ، وليشركوا ملوك أوربا وأمراءها فى حرب صليبية جديدة ، وأرسل صاحب صور صورة القدس فى ورقة ، وصور فيها صورة كنيسة القيامة التى يحجون إليها ويعظمون شأنها ، « وفيه قبة قبر المسيح ، وصور على القبر فرساً ، عليه مسلم قد وطىء قبر المسيح ، وبال الفرس على القبر ، وأبدى هذه الصورة وراء البحر فى الأسواق والمجامع ، والقسوس يحملونها ورءوسهم مكشوفة ، وعليهم المسوح ، وينادون بالويل والثبور ... » وقد كللت جهودهم بالنجاح ، فأقبل على القتال جند كثيف ، على رأسه أعظم ملوك أوربا ، وهم إمبراطور ألمانيا فردريك بارباروس ، وملك فرنسا فيليب أوغسطوس ، وملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد

أقبل الصليبيون على فلسطين من كل مكان بالبر والبحر والتأم شملهم فى صور ، التى أوى إليها الصليبيون من جميع أنحاء سوريا وفلسطين ، وقر رأيهم على مهاجمة عكا ، لحصانة موقعها ، ولأن الطريق إليها شاطئ البحر ، حيث تحميهم سفنهم ، وكان البحر أعظم مساعد لهم ، يحمل إليهم المواد الحربية والمؤن والرجال ، وقد وصلوا أمام عكا فى ١٥ رجب سنة ٥٨٥ هـ ، ووضعوا عليها الحصار

عندما سمع صلاح الدين بحركة الفرنج جمع أمراءه للاستشارة ، وكان رأيه أن يهاجمهم فى الطريق قبل أن يصلوا إلى عكا ، ولكن أمراءه أقنعوه بأن الخير فى أن تدور المركة أمام عكا . وعندما ذهب صلاح الدين إلى عكا وجد

الإسلام ما يمكن أن يكون مماثلا للحياة الحاضرة ، أو تصحيحاً لبعض أخطاء الحياة الحاضرة . بيد أنه لا يصل إلى ذلك إلا بنظره هو ، وتفكيره هو ، بصورة يرتضيها هو ، ولا يبالى أن يكون استدلاله فى غير موضعه ، ولا أن يكون فكره قد فسر الأشياء على غير ما ينبغى أن تكون عليه ، أو على غير ما كانت عليه

فأعمال هؤلاء الدعاة ، ليست فى الحقيقة إلا ضرباً من هذيان هذا الوباء المقرون بالحمى ، ليس له أصل إلا فورة الدم فى المحموم . فإذا استمر أمر الإسلام على هـذا الذى نراه ، فقد انتهى كل شىء . وإذا قدر لهذا العالم الإسلامى أن تعتزل طائفة منه هذا الخبل الخابل ، لتعيد النظر فى الأصول الصحيحة لدينها ، والتى لقى بهـا هذا الدين عالم الشرك والكفر فدكه ومزقه ، وأقام فيه بناء قاوم الفناء ثلاثة عشر قرناً ، فيومئذ تبدأ المرحلة الأولى لجهاد طويل شاق ، يتحدى طواغيت الكفر بإيمان صحيح ، لا تشوبه شائبة من هوى أصحاب الأهواء ، بل هو طاعة لله ورسوله ، لا يغنى غيرهـا شىء يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

وأعود فأقول : من ظن هذا تشاؤماً وتثبيطاً فليظن ما شاء له الظن ! وليس يغنى عن الأعمى شيئاً أن تقول له أنت مبصر بعينين لامحتين ، ولا عن المغرور فى حومة الهلاك أن تقنعه بأنه خالد ليس للموت عليه سلطان

محمود محمد شاكر

الفرنج قد أحاطوا بها ، ومنعوا كل اتصال بهـا ، فعسكر صلاح الدين فى مواجهتهم . ويقول المؤرخون : لو أن صلاح الدين عمل تبعا لرأيه الخاص ، وهاجم الصليبيين قبل أن يحاصروا المدينة لأنقذها ، ولـكن تلك إرادة الله

صمدت عكا أمام الفرنج زهـاء عامين ، نال أهلها فيهما الضر ، وأنهك الضعف فيهما رجالها ، وبلغ منهم العجز إلى غاية لم يجدوا بعدها بداً من التسليم ، وكانت قوى صلاح الدين يومئذ مبعثرة ، فى البلاد ، فكان جيش يراقب بوهمند أمير أنطاكية ، وآخر مقيم فى الرها مواجه لطرابلس للدفاع عن الحدود ، وثالث يراقب صور ، ورابع فى دمياط والإسكندرية ، ليحتاط ضد الصليبيين القادمين من البحر ، ولذلك كان جيش السلطان أقل عدداً من الصليبيين ، ورغم طول الحصار لم ير صلاح الدين أن يسلم البلد للعدو ، وعمل أهل عكا ما استطاعوا للاحتفاظ بمدينتهم ، ولـكنهم أمام كثرة العدو اضطروا إلى أن يصالحوه على أن يسلموا إليه البلد وجميع ما فيـه ، ويقدموا إليه ضريبة ماليـة كبيرة ، ويخرجوا بأنفسهم سالمين هم وذراريهم ونساؤهم . ولما علم صلاح الدين بذلك أنكره إنكاراً عظيما ، وعزم على أن يحول بين أهل عكا وبين التسليم ، ولـكن ما راعه إلا أعلام الفرنج تنصب على أسوار المدينـة يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة سنة ٥٨٧ هـ ، ولم يف ملك الإنجليز بما وعد به أسرى المسلمين ، بل أحضرهم مكبلين بالحبـال ، وحمل عليهم هو وجنده حملة الرجل الواحد ، فقتلوهم ضربا وطعنا بالسيف ، ولم يطق ملك فرنسا المقام مع ريتشارد ، فعاد إلى بلاده ، وبقى ريتشارد يعمل وحده

لما فرغ الفرنج من إصلاح أمر عكا ساروا مع شاطئ البحر إلى حيفا ، وخرج المسلمون بإزائهـم يضايقونهم ، حتى وصلوا إلى يافا فملكوها ، وكانوا على أن يملكوا عسقلان والقدس ، فجمع صلاح الدين أمراءه ، واستشارهم فيما يفعل ، فأشاروا عليـه بتخريب عسقلان ، وقالوا له : قد رأيت ما كان بالأمس ، وإذا جاء الفرنج إلى عسقلان ، ووقفنا فى وجوههم نصدهم عنهـا فهم لا شك يقاتلوننا ، لنتزاح عنها وينزلون عليها ، فإذا كان ذلك عدنا إلى مثل ما كنا عليه على عكا ويعظم الأمر علينا ، لأن العدو قد قوى بأخذ عكا وما فيها من الأسلحة وغيرها ، ونحن قد ضعفنا بما خرج عن أيدينا ، ولم تطل المدة حتى نستجد غيرها ، فوافق صلاح الدين على تخريبها مرغما ؛ وتركها صلاح الدين إلى القدس ، وأمر بعمارة سوره وتجديد ما رث منـه . وأما الفرنج فرحلوا إلى الرملة وأخذوا يجددون عسقلان ، وأجمعوا أمرهم على المسير إلى بيت المقدس

بدأ حديث الصلح يومئذ بين ملك الإنجليز وصلاح الدين ، وكان العدو هو الذى بدأ بطلب الحديث فى هذا الصلح ، إذ أراد أن يتحدث إلى الملك العادل ، وكان أول ما دار من حديث بين الفريقين أن قال الفرنج : « إنا قد طال بيننا القتـال ، وقد قتل من الجانبين الرجال الأبطال ، وإنا نحن جئنـا فى نصرة إفرنج السـاحل ، فاصطلحوا أنتم وهم ، وكل منا يرجع إلى مكانه » ، ولمـا علم ملك الإنجليز بقدم الملك العادل ، واجتمع به وأبدى له الرغبة فى الصلح ، فقـال له الملك العادل : أنتم تطلبون الصلح ولا تذكرون مطلوبكم فيـه ، حتى أتوسط بينكم وبين السلطان . وهنـا بدأ ريتشارد بذكر أعلى شروطه للصلح ، مظهراً صرامة وقوة إذ قال : « القاعدة أن تعود البلاد كلها إلينا وتنصرفوا إلى بلادكم » ، ولم تكن هذه القاعدة بطبيعة الحال مما يقبله الملك العادل ، فأخشن له فى الجواب ، وجرت بينهما منافرة ، انصرفا بعدها على غير اتفاق . ثم دارت بين الفريقين بعض المعارك ، عاد بعدها ملك الإنجليز يحاول عود الملك العـادل فى أمر الصلح عله يلين ، على غير جدوى

طلب ريتشارد إلى الملك العادل مرة أخرى أن يرسل رسولا من لدنه ليتفاوض معه فى أمر الصلح ، فأرسل إليه

رسولا يثق به ، ظل يفاوض الملك حينا طويلا ، ومع ذلك لم يتزحزح الملك إلا قليلا عن موقفه ، فقد عاد الرسول وأخبر العادل بما دار بينه وبين ريتشارد الذي قال للرسول : لا أرجع عن كلام أتحدث به مع أخي وصديق — يعني العادل — فكتب العادل رقعة أنفذها إلى السلطان تتضمن شروط الصلح التي عرضها ملك الإنجليز وفيها : « إن المسلمين والإفرنج قد هلكوا ، وخربت البلاد ، وخرجت من يد الفريقين بالكلية ، وقد تلفت الأموال والأرواح من الطائفتين ، وقد أخذ هذا الأمر حقه ، وليس هناك حديث سوى القدس والصليب والبلاد ، والقدس متعبدنا ما ننزل عنه ولو لم يبق منا إلا واحد . وأما البلاد فيعاد إلينا ما هو قاطع الأرد ، وأما الصليب فهو خشبة عندكم لا مقدار له ، وهو عندنا عظيم ، فيمن به السلطان علينا ونصطلح ، ونستريح من هذا التعب »

ولما وصلت الرسالة إلى السلطان استدعى أرباب المشورة في دولته ، وشاورهم في الأمر ، وانتهى التشاور إلى موقف حازم ، إذ أرسل السلطان في جواب الرسالة يقول لملك الإنجليز : « القدس لنا كما هو لكم ، وهو عندنا أعظم مما هو عندكم ، فإنه مسرى نبينا ، ومجتمع الملائكة ، فلا تتصور أن ننزل عنه ، ولا نقدر على التفريط بذلك بين المسلمين . وأما البلاد فهي أيضا لنا في الأصل ، واستيلاؤكم كان طارئا عليها ، لضعف من كان فيها من المسلمين في ذلك الوقت ، وما يقدركم الله على عمارة حجر منها ما دام الحرب قائما ، وما في أيدينا منها نأكل بحمد الله مغله وننتفع به ؛ وأما الصليب فهلاكه عندنا قربة عظيمة . لا يجوز لنا أن نفرط فيها إلا لمصلحة راجعة للإسلام هي أوفى منها »

وفشل مشروع آخر للصلح عرضه ملك الإنجليز على العادل ، إذ أراد أن يتزوج العادل بأخته ، على أن يعطيها أخوها بلاد الساحل التي بيده من عكا إلى يافا وعسقلان وتكون ملكة الساحل ، على أن يكون مستقر ملكها بالقدس ، ويكون العادل ملك الساحل ، وأن يسلم إليه صليب الصلبوت ، وتكون القرى والحصون لطائفتين من فرسان الإفرنج هما الداوية والاسبتار ، وأن يطلق أسرى الفرنج والمسلمين . وإذا استقر الصلح على هذه القاعدة رحل ملك الإنجليز على بلاده . وقد قبل صلاح الدين هذا المشروع ، إذ به تكون بلاد الشام كلها تحت سيطرة صلاح الدين وأخيه . ويقال إن سبب الفشل يعود إلى أن أخت الملك لم تقبل أن تتزوج من العادل لأنه مسلم ، وظن ريتشارد أن العادل يقبل أن يتنصر ليتمم هذا الزواج ، ولهذا أبقى باب المفاوضات مفتوحا

وبرغم أن العادل لم يتنصر ، ولم يتم الزواج ، توثقت صلة المودة بين الملكين ، وحدث في اجتماع تم بينهما أن سأل ريتشارد الملك العادل أن يلتمس من السلطان صلاح الدين الاجتماع به ، فلما وصلت هذه الرسالة شاور السلطان الجماعة في الجواب عنها ، وبدا له رأي ناجح موفق ذلك أنه قال : « الملوك إذا اجتمعوا يقبح منهم المخاصمة بعد ذلك ، فإذا انقطع أمر حسن الاجتماع ، والاجتماع لا يكون إلا لمفاوضة في مهم ، وأنا لا أفهم بلسانك ، وأنت لا تفهم بلساني ، ولابد من ترجمان بيننا نثق أنا وأنت به ، فليكن ذلك الترجمان رسولا حتى يستقر أمر وتستتب قاعدة ، وعند ذلك يكون الاجتماع الذي يعقبه الوداد والمحبة» قال الرسول : ولما سمع ملك الإنجليز هذا الجواب استعظمه ، وعلم أنه ليس من الهين أن يظفر بما يريد من السلطان . وكان صلاح الدين لا يرى الصلح مع الفرنج ، ويؤمن بأن المصلحة في دوام الجهاد حتى يخرجوا من الساحل ، ويعتقد أن الفرنج لا تؤمن غائلتهم ، ويرى أن هذا واجبه في الحياة وتحدثه نفسه بأنه لو حدث به حادث الموت لا تكاد تجتمع هذه الجيوش التي تحت قيادته

مضت الرسل بين الفريقين تتحدث في الصلح لتقرير

قواعده ، مع قيام الحرب بينهما ، ولم يستطع الطرفان أن يصلا إلى حل حاسم برغم كثرة الرسل ، وكثرة ما عرض من مشروعات . وقر رأى العدو على مهاجمة القدس والاستيلاء عليها ، ومضى يمد المدة لذلك ، فأحضر السلطان الأمراء عنده ، وقر رأيهم على الاجتماع عند الصخرة والتحالف على الموت . غير أن الفرنج وقد أشرفوا على القدس حدث بينهم خلاف ، دفعهم إلى أن يعودوا ناكصين على أعقابهم ، وفرح المسلمون بهذه العودة

وتجدد حديث الصلح كرة ثانية ، وأرسل ملك الإنجليز رسولا يقول : قد هلكنا نحن وأنتم ، والأصلح حقن الدماء ، ولا ينبغى أن تعتقد أن ذلك لضعف منى ، بل للمصلحة ، ولا تغتر بتأخرى عن منزلى ، فالكبش يتأخر لينطح »

وأرسل رسالة أخرى فيها رفق وخضوع ونزول عن كثير مما كان يطمع فيه ، ويقول له فى هذه الرسالة : « إنى راغب فى مودتك وصداقتك ، وأنه لا يريد أن يكون فرعون يملك الأرض ، ولا يظن ذلك فيك ، ولا يجوز لك أن تهلك المسلمين كلهم ، ولا يجوز لى أن أهلك الإفرنج كلهم ، وهذا ابن أختى الكندهرى قد ملكته هذه الديار ، وسلمته إليك ، ليكون هو وعسكره تحت حكمك ولو استدعيتهم إلى الشنق سمعوا وأطاعوا . ويقول : إن جماعة من الرهبان المنقطعين قد طلبوا منك كنائس فما بخلت عليهم بها ، وأنا أطلب منك كنيسة ، وتلك الأمور التى كانت تضيق صدرك مما كان يجرى فى المراسلة مع الملك العادل تركتها وأعرضت عنها ، ولو أعطيتنى خربة قبلتها » . فلما سمع السلطان هذه الرسالة جمع أرباب مشورته فأجمعوا على المحاسنة وعقد الصلح لما كان قد أخذ المسلمين من الضجر والتعب . فكتب صلاح الدين إليه : « إذا دخلت معنا هذا الدخول فما جزاء الإحسان إلا الإحسان . إن ابن أختك يكون عندى كبعض أولادى ، وسيبلغك ما أفعل معه . . وعسقلان وما وراءها يكون خرابا لا لنا ولا لكم . . » وقد كاد الصلح يتم لولا إصرار ملك الإنجليز على أن تبقى عسقلان وبعض البلاد عامرة بيده ، فقد أرسل إلى صلاح الدين رسالة يقول له فيها : « إن الملك يسأل ويخضع لك أن تترك له هذه الأماكن الثلاثة عامرة ، وأى قدر لها فى ملكك وعظمتك ، وما من سبب لإصرار عليها ، إلا أن الإفرنج لم يسمحوا بها ، وقد ترك القدس بالكلية ، فلا يطلب أن يكون فيه رهبان ولا قسوس ، إلا فى القيامة وحدها ، فأنت تترك له هذه البلاد ، ويكون الصلح عاما ، فيكون لهم كل ما فى أيديهم من الداروم إلى أنطاكية ، ولكم ما فى أيديكم ، وينتظم الحال ، وإن لم ينتظم الصلح فالإفرنج لا يمكنونه من الرواح ، ولا يمكنه مخالفتهم » . وانقطعت مفاوضات الصلح عندما أعلن الملك أنه لا يمكن أن يخرب من عسقلان حجرا واحدا

استعد صلاح الدين للحرب ، ومضى بجيشه إلى يافا وافتتحها وكانت قلعتها على وشك أن تسقط فى يده لولا أن أنجدها جيش الفرنج ، وقد أعجب ملك الإنجليز بالسرعة التى استولى بها صلاح الدين على يافا ، وقال : ما ظننت أنه يأخذ يافا فى شهرين ، فكيف أخذها فى يومين . وأرسل رسولا إلى السلطان يقول له : « بالله عليك أجب سؤالى فى الصلح ، فهذا الأمر لابد له من آخر ، وقد هلكت بلادى وراء البحر ، وما فى دوام هذا مصلحة لنا ولا لكم » فأجابه السلطان : « إنك كنت طلبت الصلح أولا على قاعدة ، وكان الحديث فى يافا وعسقلان ، والآن قد خرجت يافا ، فيكون لك من صور إلى قيسارية » ؛ فجاء رسول الملك يقول : « إن قاعدة الإفرنج أنه إذا أعطى واحد لواحد بلدا صار تبعه وغلامه ، وأنا أطلب منك هذين البلدين : يافا وعسقلان ، وتكون عساكرهما فى خدمتك دائما ، وإذا احتجت إلى ، وصلت إليك فى أسرع وقت ، وخدمتك كما تعلم خدمتى » ، فأجابه صلاح الدين : « حيث

دخلت هذا المدخل ، فأنا أجيبك بأن نجعل هذين البلدين قسمين : أحدهما لك ، وهو يافا وما وراءها ، والثانى لى ، وهو عسقلان وما وراءها » ؛ فأرسل إليه الملك يشكره على إعطائه يافا ، ويجدد السؤال فى عسقلان ، ويقول : « إنه إن وقع الصلح فى هذه الأيام سار إلى بلاده ، ولا يحتاج أن يشتى هاهنا » ، فأجابه السلطان فى الحال إجابة المؤمن الواثق بقوله : « أما النزول من عسقلان فلا سبيل إليه وأما تشتيه هاهنا ، فلابد منها ، لأنه قد استولى على هذه البلاد ، ويعلم أنه متى غاب عنها أخذت بالضرورة ، كما تؤخذ أيضا إذا أقام ، إن شاء الله تعالى . وإذا سهل عليه أن يشتى ها هنا ، ويبعد عن أهله ووطنه مسيرة شهرين وهو شاب فى عنفوان شبابه ، ووقت اقتناص لذاته ، أملا يسهل على أن أشتى وأصيف ، وأنا فى وسط بلادى ، وعندى أولادى وأهلى ، ويأتى إلى ما أريد ، وأنا رجل شيخ ، قد كرهت لذات الدنيا ، وشبعت منها ، ورفضتها عنى ، والعسكر الذى يكون عندى فى الشتاء غير العسكر الذى يكون عندى فى الصيف ، وأنا أعتقد أنى فى أعظم العبادات ، ولا أزال كذلك حتى يعطى الله النصر لمن يشاء » . .

ومضى السلطان يطلب فرصة يحارب فيها العدو ، ولكن الملل كان قد دب إلى عسكر الفريقين ، وكانت قد جدت أمور تستدعى عودة ملك الإنجليز إلى بلاده ، فأرسل رسولا إلى الملك العادل ، وقال له : قل لأخى الملك العادل يبصر كيف يتوصل إلى السلطان فى معنى الصلح ، ويستوهب لى منه عسقلان ، وأمضى أنا ، ويبقى هو فى هذه الشرذمة اليسيرة يأخذ البلاد منهم ، فليس لى غرض إلا إقامة جاهى بين الإفرنج ، وإن لم ينزل السلطان عن عسقلان ، فيأخذ لى منه عوضا عن خسارتى على عمارة سورها _

فلما سمع السلطان ذلك سيرهم إلى الملك العادل ، وأسر إلى ثقة عنده أن يمضى إلى الملك العادل ، ويقول له : إن نزلوا من عسقلان فصالحهم ، فإن العسكر قد ضجروا من ملازمة القتال ، والنفقات قد قلت

وانتهت المفاوضات بين العادل والملك بالنزول عن عسقلان ومن طلب العوض عنها ، وتم توقيع المعاهدة على أن يسود السلام ثلاث سنين من تاريخها وهو الأربعاء الثانى والعشرون من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، ونادى المنادى فى الأسواق : ألا إن الصلح قد انتظم فى سائر بلادهم ، فمن شاء من بلادهم أن يدخل إلى بلادنا فليفعل ، ومن شاء من بلادنا أن يدخل إلى بلادهم فليفعل . قال ابن شداد وكان حاضرا ذلك اليوم : « وكان يوما مشهودا ، غشى الناس من الطائفتين فيه من الفرح والسرور مالا يعلمه إلا الله تعالى »

أما موقف صلاح الدين من الصلح فقد أوضحه ابن شداد بقوله : « إن الصلح لم يكن من إيثاره ، فإنه قال لى فى بعض محاوراته فى الصلح : أخاف أن أصالح ، وما أدرى أى شئ يكون منى ، فيقوى هذا العدو ، وقد بقيت لهم هذه البلاد ، فيخرجوا لاسترداد بقية بلادهم ، وترى كل واحد من هؤلاء الجماعة قد قعد فى رأس تلعته ، يعنى حصنه ، وقال : لا أنزل ، فيهلك المسلمون . هذا كلامه ، وكان كما قال . لكنه رأى المصلحة فى الصلح ، لسآمة العسكر ، وتظاهرهم بالمخالفة ، وكانت مصلحته فى علم الله تعالى ، فإنه اتفقت وفاته بعيد الصلح ، ولو كان اتفق ذلك فى أثناء الوقعات لكان الإسلام على خطر ، فما كان الصلح إلا توفيقا وسعادة له »

أمضى صلاح الدين معاهدة الصلح مرغما ، لما شاهده فى الجند من ملل ، دل عليه إحجامهم عن منازلة العدو فى مواقف عدة ، وكان يأمل أن يجدد قواه فى هذه المدة من السلم ليستخلص ما بقى فى يد الفرنج ، ورغم طول الجهاد ومشقات القتال هذه المدة الطويلة فى حرب الفرنج ، وقف

صلاح الدين للفرنج وقفات عنيفة حطمت آمالهم ، فلم يظفروا بغير امتلاك عكا ، واضطروا إلى النزول على ما شرطه السلطان ، وفى ذلك يقول ابن الساعاتى يمدح صلاح الدين :

سل عنه قلب الأنكتير ، فإن فى خفقانه ما شئت من أنبائه
لولاك أم البيت غير مدافع وأسال سيل نداه فى بطحائه
وبكت جفون القدس ثانية دما لترنم الناقوس فى أفنائه

وكان إعجاب مؤرخى المسلمين عظيما بصبر الإنجليز ، وسياستهم فى اللين حينا والشدة حينا آخر ، ولكن غلب سياستهم إيمان صلاح الدين وقوة ثباته ورباطة جنانه .

أحمد أحمد بدوى

ذكرى الدكتور مشرفة

أول عميد مصرى لكلية علوم فؤاد

للدكتور عطية مصطفى مشرفة

دار الفلك دورته وتعاقبت الأيام والليالى فنسج منها الزمن سنة أخرى ؛ ففى مثل هذا اليوم (١٦ / ١) منذ ثلاث سنوات استرد الله وديعته الغالية عندما اقتحم الموت باب عالم مصر الفذ وهو يرتشف قدحاً من الشاى ويستعد لمواصلة أبحاثه التى لم تحتجب نورها إلا بموته

لم يتعب الموت فى أن يفك عن روحه قيد الجسد لأن الجسد كان ممزقاً من طول ما أنهكه صاحبه من نضال مر سببه ضمير حى ونشاط جم وذهن موهوب فصعدت روحه إلى ربها فى سلام يشبه وميض البرق

وعند هـذا الباب الذى دخله الموت وخرج فى ثوان معدودات يقف التاريخ طويلا ليسجل آثاره ومناقبه ومكانته العلمية المرموقة

كان الفقيد الكريم أول رئيس لاتحاد الجامعة فبث فى برلمانه الصغير المثل العليا فتخرج فيه أعضاء عديدون كان منهم الوزراء الصالحون وأعضاء البرلمان الناجحون فى برلمان الأمة

وقد لمست جهده فى أولئك الرجال الذين كونهم ووجههم وبث فيهم من روحه

وكان رحمه الله يرى أن الدراسة الجامعية يجب أن تعتمد على مجهود الطالب فى البحث والكلام . وما الأستاذ إلا مرشد وموجه وموضح ، لذلك كان الاطلاع هو الطريق الصحيح لميادين العلوم وآفاق البحث والكشف فى رأيه ؛ فربى فى طلبته ملكات حب العلم والتعمق فيه وحب البحث العلمى ، وبذلك أخرج للبلاد فيلقا من العلماء الباحثين الذين يطلبون الحقائق العلمية لذاتها . وكثيرا ما سمعته يقول « خير للكلية أن تخرج عالما كاملا من أن تخرج كثيرين أنصاف العلماء » وكانت خسارته على البلاد فى تلك النهضة العلمية التى غرس شجرتها فى كلية العلوم فتغلغلت جذورها وامتدت أعوادها وانتشرت ظلالها فنهضت حتى وصلت إلى مكانها المرموق فى الأوساط العلمية بما أفاض عليها من عبقريته وسعة إطلاعه وخصب ثقافته والتى لم يرض — طيب الله ثراه — أن يكون لأحد عليها من سلطان سوى التقاليد الجامعية الحرة مما زاد فيها مشعل العلم تألقاً وتوهجاً وجعل هـذه التقاليد النبراس المضئ والشعلة الوهاجة ؛ وبذلك أنشأ جيلا من غرس يديه لا يمكن أن يثبط أحد من همته وعزيمته أو يثنيه عن حماسته وبنيته لأنه قد اتخذه قدوة له

واستطعت أن أرى مجهوده فى الحركة العلمية التى بناها على أكتافه وتمهد مراحل تطورها مرحلة بعد مرحلة ورفع اسمها فيما وراء البحار بما بث فيها من روح البحث الصحيح وبذلك أنشأ مدرسة فى البحث العلمى العميق يرجع إليها الفضل فى شق الطريق لايجاد طبقة فريدة من العلماء ورجال الفكر المتازين لأنه بناها على أساس من الدأب والجد والاستقامة وشيدها بوسائله المنتجة المثمرة فسارت على السنن القويمة ونهجت المنهج الكريم فوسائلها

مقصورة على صحة الحجة وسلامة البرهان ووضوح الدليل وبذلك أحدثت هزات عنيفة فى المجتمع العلمى من الحيوية والنشاط وأصبحت كالنور الذى يشق حجب الظلمات

ومن كلماته المأثورة التى تعتبر دستوراً للتقاليد الجامعية قوله — رحمه الله — « إنى لا أطلب من القادة والحكام فى مصر سوى ترك الجامعة تؤدى رسالتها السامية بعيدة عن الميول السياسية وترك الطلبة لإتمام دراستهم فى هدوء واستقرار »

وقوله « إن أفضل الزعماء والكبراء عندى هو من يؤدى للجامعة مساعدة ويشد أزر العلم ويعاون العلماء على أداء رسالاتهم فى هدوء ويحفظ لهم كرامتهم واستقلالهم» وتلك مبادئ سامية سطع نورها فى عهدنا الجديد

وترن الآن فى أذنى بعض ما أورده بعض أعلام الفكر والرأى فى جنبات قاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة فى حفلة تأبينه فأستعيد منها قول أستاذى الجليل الدكتور طه حسين أطال الله بقاءه « فارقنا مشرفة فلم نمتحن فيما كان قلوبنا تضمر من ود وحب ، ولم نمتحن فيما كنا نستمتع به من زمالة وإخاء فحسب ، ولكن مصر كلها امتحنت فى علم من أعلامها ومن أعظم أعلامها ارتفاعاً وبعد ذكر فى الآفاق ، وشر المحن هو هذه المحن التى لا سبيل إلى تعويضها ولا إلى العزاء عنها ، فأمثال مشرفة من النابغين النابهين الذين يرفعون ذكر أوطانهم والذين يضيفون إلى الكنوز الإنسانية فى العلم والمعرفة ، أمثاله قليلون إذا خسرهم الوطن فلا بد من صبر وانتظار متصل قبل أن نظفر عن يخلفهم ، وإذا فقدهم العلم فلا بد له كذلك من انتظار حتى يجد ما سيتم ما بدأه »

ولا تزال كلمة أعضاء مجلس كليته ترن فى أذنى عن الفقيد العظيم اعترافاً بجميله على كلية العلوم حيث يقولون « وكلية العلوم التى بذل الفقيد من أجلها الكثير لإعلاء شأنها وتدعيم أركانها لن تنسى فضله عليها ، وستبقى مبادئه وتعاليمه التى رسمها لها نبراساً تهتدى به ، وسيظل اسمه خالداً رمزاً على النبوغ والتضحية ، ومثلا رفيعاً للقيام بالواجب وتحمل المسئولية والتفانى فى خدمة العلم والعلماء »

ويكفى للدلالة على مكانة الفقيد الرفيعة بين مصاف العلماء فى الدنيا أنه كان أحد الباحثين القلائل فى الذرة ، ومن العلماء القلائل الذين يفهمون النظرية النسبية حتى أن السير أوين رتشاردسون البحاثة الكبير فى العلوم الرياضية قال عقب موت الفقيد « إنه كان من أعظم علماء الطبيعة الرياضيين البارزين فى العالم وإن وفاته فى هذه السن المبكرة جاءت خسارة لا تقدر للعلم لا فى مصر وحدها بل فى جميع أنحاء العالم أيضا »

فإن غاب نجمه عن الناظرين فهو لا يزال من وراء الأفق سيبث أشعته فى قلوب من آمنوا برسالته ، وهو وإن همد قلبه فإن ذكراه العاطرة لا تزال تملأ الوجود

فلتذهب سيرته العاطرة فى التاريخ قدوة مثلى يفخر بها المصريون جيلا بعد جيل لأن اسمه سوف يبقى خالداً ما بقى فى مصر جيل يؤمن بالبحث العلمى وفائدته

وفى ذمة الله هذا الطراز النادر الكريم من الرجولة والوفاء والعلم

دكتور عطية مصطفى مشرفة

الرسالة وإصلاح الأزهر

للأستاذ محمد رجب البيومي

كتبت بالعدد الممتاز الماضي كلة موجزة عن أثر الرسالة — مدى سنواتها العشرين — في العالم العربي أدبيا واجتماعيا ودينيا ، وكان من الحتم الأكيد حينذاك أن أوضح ما قامت به من جهود في إصلاح الأزهر ، فهو معقل الإسلام ، ومنارة الأدب ، وموئل العروبة ، غير أني أردت أن أفرد لذلك مقالا خاصا ، إذ أن الحديث عن هذا الموضوع المتشعب يحتاج إلى بعض التفصيل

والحق أن الرسالة وقد أنشأها صاحبها لإيقاظ الوعي الأدبي ، وبعث الروح الإسلامي ، وإحياء المجد العربي ، كانت ترى الأزهر حقلا خصيبا لتنمية ما ترمي إليه من غايات ، فهو أفسح ميدان لتربية الشباب المسلم ، المعتز بأرومته العريقة ، وتقاليده الكريمة ، ودينه الأصيل ، وهو عدو الاحتلال الجاثم على ربوع الشرق الإسلامي ، يناوئه بسلاح الدين ، ويهدمه بمعاول الأدب ، ويغزوه بمنطق الثقافة ، وزعجه بإذكاء الحمية والغيرة والإباء في النفوس ، فلابد لمصلحين أن يساهموا في بنائه الراسخ ، ليستكمل أداة التعليم ، ويساير حاجة العصر ، وإذ ذاك ينهض بالشرق — كما يقول الاستاذ الزيات — نهضة أصيلة حرة تنشأ من قواه ، وتقوم على مزاياه ، وتتغلغل في أصوله !

وهناك صلة قوية ثابتة بين الرسالة والأزهر ، فالرسالة وهي في جوهرها صحيفة الأدب العربي الأصيل ، ترى « أن الدين الإسلامي ينفرد عن سائر الأديان باعتماد دعوته على الأدب ، وقيام معجزته على البلاغة ، والدين الإسلامي والأدب العربي متلازمان تلازم المعنى واللفظ والفكر والأداء ، ولا يتسنى لرجل الهداية والإصلاح أن يبلغ دعوة محمد ، إلا إذا تمكن منهما تمكن الجاحظ ومحمد عبده وغيرهما من أئمة الأدب والدين [1] » وإذا كان الأزهر قائد الدعوة إلى الإسلام فهو يلتقي بالرسالة في حلقة البأس وميدان الجهاد

وأنت تتصفح أعداد الرسالة في سنواتها العشرين فلا تكاد تجد سنة تمر دون أن تثار على صفحاتها معركة الأزهر والإصلاح . ولو أن باحثا عكف على دراسة هذه البحوث الخاصة بالأزهر ، لأمكنه أن يقدم — على ضوئها البصير — لولاة الأمر في مصر ، دستورا دقيقا للاصلاح الأزهري المأمول ، قد اشتركت في تقنينه عقول ممتازة ، وأقلام حرة جريئة . والرسالة بعد أحفل الصحف الأدبية في الشرق آثار أدباء الأزهر وشعرائه ، ولا يخلو عدد من أعدادها التي تربو على الألف رغم تنوع مشاربها ، واختلاف مناحيها ، من أقلام أزهرية تعالج شؤون الأدب والدين والتاريخ ، مما يشهد بأثرها الواضح في تنشيط العقل الأزهري وتوجيهه

وإذا كانت آراء الكتاب قد اختلفت قربا وبعدا في توجيه الإصلاح الأزهري على صفحات الرسالة ، فإن صاحبها الكبير قد وضع للمشكلة الأزهرية حلولا مختلفة ، أخذت تتبلور وتتضح ، حتى اجتمعت أخيرا في حل حاسم جهر به ودعا إليه ، وكان لحلوله المختلفة — في سنواتها المتفرقة — صداها القوي المجلجل ، فقد تناولها الكتاب بالنقد والتعليق ، ودفعت كثيرا من الأقلام إلى المعارضة والتأييد ، وسنعرض اليوم موجزا دقيقا لهذه الحلول ، ليلم بها القارئ في أضيق نطاق ، وله أن يرجع إلى أعداد الرسالة السابقة إن أراد الإسهاب والتفصيل

لقد بدأ الأستاذ الزيات يحدد رسالة الأزهر ، ووجهها إلى ثلاثة مناح [2]

---

(١) الرسالة ٢٢ إبريل سنة ١٩٤٠ للأستاذ الزيات

(٢) الرسالة ٢٧ مارس سنة ١٩٣٩

(١) تنقية الإسلام من العقائد الواغلة ، والمذاهب الباطلة ، والعادات الدخيلة ، وسبيل ذلك ما يأتى :

(ا) تفسير القرآن على هدى الرواية الصحيحة ، وفى ضوء العلم الصحيح ، تفسيرا يجمع ما صح من أقوال السلف وما صلح من أقوال الخلف

(ب) تأليف كتاب يجمع ما لا ريب فيه من أحاديث الرسول ، ويستعان على شرحه وتبويبه بعلوم التاريخ والفلسفة والاجتماع

(ح) تصنيف كتاب شامل للمذاهب الفقهية الصحيحة ، فيوضع متنه مواد كالقانون ، ثم يشرح شرحا يستوعب الأصول والفروع (على أن تكون هذه الكتب الثلاثة مادة الدراسة ، ومصدر الفتوى ، ومرجع القضاء)

(٢) إعداد الوعاظ والدعاة فى الشرق الإسلامى من أهل اللسن والخلق والعلم وسبيل ذلك ما يأتى :

(ا) إمدادهم بالثقافة الحديثة واللغات الحية فوق التكوين الأزهرى

(ب) إيفادهم إلى الأمم الإسلامية البعيدة عن مواطن العروبة ومهبط الوحى

(ح) العناية اليقظة بالبعثات الإسلامية فى الأزهر ، فأصحابها أقدر على إرشاد قومهم باللغة والقدوة والنفوذ

(٣) جعل اللغة العربية لغة المسلمين كافة ، فيكون لكل مسلم فى الأرض لغتان ، لغة لوطنه الأصغر ، ولغة لوطنه الأكبر . وسبيل ذلك :

(ا) أن تحمل مشيخة الأزهر أقطاب الرأى فى البلاد الإسلامية بالمفاوضة والائتمار على أن يجعلوا تعلم اللغة العربية إجباريا فى مراحل التعليم المختلفة (ب) أن تتكفل بإرسال المعلمين من المتخصصين بالأزهر ليضطلعوا بهذه الرسالة

هذه هى رسالة الأزهر كما حددها الأستاذ الزيات ، وقد كان المظنون أن هذه الجامعة العريقة ستسمى إلى تحقيقها ، لتتم لها الهيمنة الروحية على العالم الإسلامى ، وخاصة أن الأستاذ المراغى كان يتقلد مشيخة الأزهر ، وفى وسعه أن يرتفع به إلى الأوج ، لو خلصت النية ، وصحت العزمة ، فقد عقد الشباب الأزهرى على جهوده المرتقبة ، آمالا واسعة عريضة ، واندفع الشباب والشيوخ — إلا قليلا — يؤيد حركة البعث فى الصحف والمجلات ، ورأى الأستاذ الزيات أن الفرصة موانية لحركة الإصلاح ففسح لها فى صحيفته مكانا طيبا ، واندفع مرة أخرى يحلل ، ويعلل ، ويمهد أسباب الوثوب والتقدم والاستقرار ، وقد لخص علاجه فى أمرين اثنين ينهضان بالأزهر الحديث ، وينقذانه مما يتكاءده من التقاليد البالية ، والجمود الميت ، هذان الأمران هما : إعداد العلم وتأليف الكتاب

والعلم كما يقول صاحب الرسالة [٣] لا بد أن يكون متمكنا فى علوم الدين وصاحب ملكة فى الفقه ، وأن يكون متبحرا فى فنون العربية ، وصاحب قريحة فى الأدب ، وأن يأخذ بعد هذا وهذا من ثقافة الغرب بأوفر نصيب . أما الكتاب فلا يتيسر إلا بعد إعداد العلم ، لأنه هو وحده الذى يدرى كيف يؤلفه ويدرسه « ومتى توفر للأزهر العلم والكتاب فى ظل هذه الإدارة البصيرة ، صح لك أن تقول إن مصر ظفرت بجامعتها الصحيحة التى تدخل المدنية الغربية فى الإسلام ، وتجلو الحضارة الشرقية للغرب ، وتصفى الدين من شوائب البدع والشبه والركاكة والعجمة »

ثم مضت الأيام خلف الأيام !! والأزهر على حالته الراهنة لا يأخذ بإصلاح ولا ينهض إلى رسالة . ومن الإنصاف للتاريخ أن نقول إن الأستاذ المراغى قد نحى بالأزهر فى هذه الآونة ناحية عصفت بآماله ، وبددت شمله ، فقد اندفع به التيار الحزبى البغيض لينصر فريقا على فريق ! ولم يلتفت إلى إصلاحه وتوجيهه ، بعد أن عقدت عليه الآمال ، وامتدت إليه الأعناق !! وأصبح الشباب الأزهرى المتوثب إلى الرقى والنهضة حائرا لا يجد من يأخذ بناصره ،

(٣) الرسالة ٢٢ إبريل سنة ١٩٤٠

ويتولى زمام أمره ، سوى أفراد من رجاله لا يملكون غير الخطب والمقالات ، بل إنه وجد من يفت فى عضده ويثبط همته ، « من شيوخ غاية أمرهم أن يتزيوا بالورع[٤] ويتفقهوا فى العلوم ، بتشقيق الجمل ، وتوليد الألفاظ ، وتمديد الفروض » وما زال الفساد السياسى من جهة ، والعصبية المهدية بين الأزهر والجامعة من جهة أخرى ينهشان فى فى هذا المعهد التليد ، ويفرقان أبناء الثقافة الواحدة شيعا وأحزابا ، حتى تأكد المفكرون أن الأزهر لا يستطيع أن يصلح نفسه بنفسه ، وأنه محتاج إلى خلق جديد ، وسيطرة خارجية ، ترفعه عن النزوات الشخصية ، والإسفاف الحزبى ، وتعود به إلى حظيرة الدرس والفضيلة والتثقيف ، لذلك قام الأستاذ الزيات بدعوة جريئة إلى إصلاح الأزهر ، فتقدم على صفحات الرسالة [٥] باقتراح حاسم يتضمن ما يلى :

١ — أن يلغى التعليم الابتدائى من جميع المعاهد الدينية ، ليلقى بتقاليده إلى وزارة المعارف فتقسمه على الوجه الذى تراه ، وذلك بدء الوحدة الثقافية

٢ — أن تتحول المعاهد الثانوية الدينية إلى مدارس ثانوية لحاملى الشهادات الابتدائية العامة ، وتعلم فيها الرياضيات والعلوم وفق منهج الوزارة ، وفى أول السنة الثالثة يتجه طلابها اتجاهين مختلفين : إما إلى الدين وعلومه ، أو إلى اللغة وفنونها ، فإذا انقضت السنوات الخمس تقدم طلاب الشعبتين إلى امتحان الشهادة الثانوية مع سائر إخوانهم فى جميع المدارس ، يمتحنون معهم فيما يتفقون فيه ، وينفردون انفراد شعب التوجيهية فيما اختصوا به

٣ — أن يقتصر فى التعليم الجامعى بالأزهر على كليتين اثنتين : كلية الدين وتشمل كليتى الشريعة والأصول ، وكلية اللغة وتشمل كلية اللغة العربية ودار العلوم

وقد أثار هذا الاقتراح جدلا كبيرا بين الأقلام ما بين مؤيد ومعارض ، وقد هاجمه من كبار رجال الأزهر المغفور له الأستاذ النمراوى بمجلة الرسالة[٦] مهاجمة خطابية عاطفية ، كما عارضه الأستاذ محمد عبد اللطيف دراز وكيل الأزهر الآن بمجلة رسالة الإسلام [٧] معارضة تقوم على الرفض والإنكار ، دون أن تحلل البواعث الشافية ، والأسباب المقنعة . وأدلى غيرهما كالأستاذ العقاد [٨] والشيخ المدنى [٩] بآراء تتفق وتختلف ، وتلين وتشتد . وتتلخص اعتراضات المعارضين فى شبه يسيرة أوجد لها الأستاذ الزيات ما يلزم من الحلول والتفنيد

فهناك من يقول إن المواد الدينية على نهجها المعروف بمدارس الوزارة ستطغى على المواد الدينية . وهناك ثان يقول إن تحفيظ القرآن الكريم لا يمكن أن يتم على وجهه الأكمل ، إذا كان القسم الابتدائى عاما للجميع . وهناك ثالث يقول إن هذا الاقتراح سيحرم الطالب ست سنوات كان يقضيها فى دراسة اللغة والدين . ورابع يرى أن الاعتماد على الشهادة الابتدائية العامة ، فى تغذية الأقسام الثانوية الأزهرية ، يعرضها للهزال والجدب ، لانصراف التلاميذ عنها إلى المدارس الأخرى !!

هذه هى الاعتراضات الموجهة إلى الاقتراح . وقد أجاب عنها الأستاذ الزيات إجابة شافية بالرسالة [١٠] ، فبين أولا أنه لا خوف من طغيان المواد الدنية على غيرها ما دام الوقت متسعا ، والأستاذ كفؤا ، والكتاب مهذبا . وبين ثانيا أن القرآن الكريم يمكن أن يحفظ بسهولة إذا فرضته إدارة الأزهر على كل طالب فى كل سنة من سنى الدراسة فى المدارس الأزهرية الثانوية . وأوضح ثالثا أن المعاهد الدينية التى ستصير مدارس ثانوية ستظل

(٤) الرسالة أول إبريل سنة ١٩٤٠

(٥) الرسالة ٨ إبريل سنة ١٩٤٦

(٦) الرسالة ٦ مايو سنة ١٩٤٦ وما بعدها

(٧) رسالة الإسلام السنة الثانية العدد الرابع أكتوبر سنة ١٩٥٠

(٨) الرسالة ١٥ إبريل سنة ١٩٤٦

(٩) الرسالة ٢٩ إبريل سنة ١٩٤٦ وما بعدها

(١٠) الرسالة ٦ مايو سنة ١٩٤٦ م

تابعة للأزهر، خاضعة لإدارته، فله أن يفرض عليها ماشاء من الدراسات الدينيـة . كما بين أخيرا أن الاقتراح يقصر وظائف تدريس اللغـة العربيـة والدين والأدب فى جميع مدارس الأمة على الأزهر، فكل من يرغب فى ممارسة أمر من هـذه الأمور يجب أن يدخل الأقسام الثانوية الأزهرية، ليحقق رغبته؛ ولن يتعرض بعد ذلك للهزال والجدب .

وإذا كان صاحب الرسالة قد تقدم باقتراحه منذ سبع سنوات قبل أن تتم المجانية التعليم الثانوى بالمدارس، فإننا نرى أن الواقع الملموس بعد تعميم المجانية يدعو معارضى الاقتراح إلى النظر فيه من جديد نظرة عملية، إذ أن الأزهر بمجانية التعليم قد تعرض إلى زلزلة عنيفة صرفت عنه كثيرا من الطلاب، وأصبح يتسامح فى شروط الانتساب تسامحا جعله لا يدقق فى حفظ القرآن جميعه، بله السن والقواعد الأولية للمعلومات. ولئن وجد فى العامين الماضيين من توجه إليه ممن استعدوا لدخوله منذ طفولتهم الباكرة، فإنه لن يجد بعد ذلك من يسارع إليه، إلا إذا منح ميزات كثيرة تبرر تفضيله على المدارس فى نظر أولياء الأمور، وهيهات أن يكون ذاك، وهو بوضعه الراهن بعيد كل البعد عن الثقافة الحديثة، واللغات الحيـة، التى تفتح أبواب المستقبل، ونوافذ الأمل للشباب

على أن كثيرا من أساتذة الأزهر ورجاله يشاركون الزيات رأيه بكل قوة وتعضيد . وأذكر أن الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى قد كتب مقالا حارا بالأهرام (صيف سنة ١٩٥٠) يقترح فيه ما سبـق أن اقترحته الرسالة بشأن الأزهر، فتتح مجالا كبيرا للمناقشة وتلقت جريدة الأهرام سيلا من التأييد والمعارضة يوحى بالاهتمام والتقدير، بل إن الدكتور محمـد يوسف موسى قد أعلن رأيه هذا فى مجلة الأزهر [11]، وهى الصحيفة الرسميـة للأزهريين، فلم يثر اعتراض الشيوخ آنذاك، أما خارج الأزهر فأكثر رجال التربية والتعليم يضجون من الثنائية الحمقاء، التى تبدد وحدة الثقافة بين أبناء الأمة الواحدة .

وقد دعا وزير المعارف الأستاذ إسماعيل محمود القبانى فى كتابه الذى أصدره أخيرا عن سياسة التعليم إلى توحيد الثقافة، وتحويل المعاهد الأزهرية إلى مدارس ابتدائيـة وثانوية، لتتم الوحدة الثقافية فى وادى النيل، وأنا أرى أن السبيل ميسر إلى ذلك كل التيسير، إذ أن مدرسى اللغة العربية والدين — وهم أكثرية — فى مدارس الوزارة من الأزهريين، كما أن مدرسى المواد المدنية فى المعاهد الدينية من رجال التعليم بالوزارة، فلم يبق إلا أن تتحـد البرامج وتتفق المناهج . وإذا كانت عناية المدارس الآن باللغة العربية والدين الإسلامى واهنة ضعيفة، فلنشد أزرها شدا قويا متواصلا، ليكون جميع التلاميذ مثقفين فى دينهم ولغتهم دون تمييز بين فريق وفريق

وأخيرا .. هل من سميع ؟!

محمد رجب البيومى

(١١) مجلة الأزهر : المحرم سنة ١٣٧٠ هـ

شعر مختار

الابريق

ألاأيها الإبريق مالك والصلف   فماأنت بلور ولاأنت من صدف
وما أنت إلا كالأباريق كلها   تراب مهين قد ترقى إلى خزف
أرى لك أنفا شامخا غير أنه   تلفع أثراب الغبار وما أنف
ومسته أيدى الأدنياء فماشكا   ومصته أفواه الطغام فما وجف
وفيك اعتزاز ليس للديك مثله
ولست بذى ريش تضاعف كالزغف
ولا لك صوت مثله يصدع الدجى   وتهتف فيه الذكريات إذا هتف
وأنصت استوحيه شيئا يقوله
كما يسكت الزوار فى معرض التحف
وبعد ثوان خلت أنى سمعته   يثرثر مثل الشيخ أدركه الخرف
فقال « سقيت الناس » قلت له : أجل
سقيتهم ماء السحاب الذى وكف
ودمع السواقى والعيون الذى جرى
وماء الينابيع الذى قد صفا وشف
فقال : ليذكر فضلى الماء وليشد
بمدحى، ألم أحمله؟ قلت : لك الشرف
فقال : ألم أحفظه ؟ قلت — ظلمته
فلولاه لم تنقل ولولاك ما وقف !

إيليا أبو ماضى

غزل !

دنوت فقلنا رؤى الحالمين   فلما بعدت أتهمنا النظر
وحامت عليك بأضوائها   مصابيح مثل عيون الزهر
تتبعن خطوك عبر الطريق   كما يتحرى الدليل الأثر
مشى الحسن حولك فى موكب   يرف عليه لواء الظفر
تمثــــل صدرك سلطانه   كجبار واد تحدى الخطر
نهدين يستقبلان السماء   كأنهما يرضعان القمر
تساميت عن لثة الكائبين   وروعة كل قصيد خطر
وجئنا إليك بملك الهوى   وعرش القلوب وحكم القدر
بأنشدة ، مثلما غردت   يد الريح فى ورقات الشجر
وأنت بأفقك ساجى اللحاظ   تطل على سبحات الفكر

علي محمود طه

هى .. والفراشة

حطت على غصن الشجيرة حين حطت من عل
ورقبتها .. فوجدت مشبهة لمن لم تقبل . .
شقراء . . قبلها الصباح على جناح مرسل
مشغولة بكيانها .. عن عاشق متطفل
مزهوة .. فى ثوبها الفل النقى .. بقرنفل
ورشيقة . . إن تستقر هنا . . وإن تتنقل
لهفى عليها وهى نافرة . . ولم تتمهل
لهفى عليها .. بل عليك تلهفى .. ولتسألى . .
ولتسألى عينى التى عن « ساعتى » لم تغفل
علقت بعتريها .. تضيق بسيره المتمهل
ترنو . . وترنو . . ثم تكشف أنه لم ينقل !
ولتسألى الترب الذى أبليته بتنقلى . .
ولتسألى نظراتهم . . لما وقفت بمعزل
يلقونها فى حدة . . وكأنهم من عذلى !

* * *

أ « فراشتى » . . عودى إلى . . فوقفتى لم تكمل
عندى رحيق البرعم الحانى . . وهمس السنبل
عندى رفيف النسمة النشوى . . وشدو الجدول
عندى من الفجر الندى مشاعر . . لم تجهل !
عندى الربيع . . وما الربيع سوى صباى . . فأقبلى . .

محمد محمود عماد

تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوي

بودلير فى رأى سارتر

فى العدد الأسبق من الرسالة فى باب « من هنا ومن هناك » كلمة عن « تجديد التراث الأوربى فى دراسة أعلامه » للكاتب الأمريكى وليام باريت .. قال الكاتب الأمريكى فى سياق هذه الكلمة وهو يشير إلى الشاعر الفرنسى شارل بودلير : « أما بودلير فالرأى بين النقاد الكاثوليكيين وفى طليعتهم الشاعر المليم ت . س إليوت أن بودلير فى قرارته شاعر مسيحى برغم ما يشتم فى كتاباته من إلحاد . وجدير بالذكر أن جان بول سارتر الفرنسى يخالف النقاد الكاثوليكيين فى « مسيحية » بودلير ، ويؤكد ذلك فى دراسة نشرها مؤخرا عن مواطنه بودلير . وسارتر فى دراسته الأخيرة يجرد بودلير من معظم المزايا الأدبية والروحية التى وفرت له مكانته المرموقة فى الأدب الغربى الحديث ! »

هذه الفقرة التى نقلتها الرسالة عن الكاتب الأمريكى وهو فى معرض الحديث عن رأى سارتر فى بودلير ، كانت مسرفة فى الإيجاز بحيث لا يخرج منها القارئ بتلك المقدمات التى بنى عليها الكاتب الفرنسى رأيه فى مواطنه الشاعر .. لماذا خالف سارتر النقاد فى « مسيحية » بودلير ولماذا جرده من معظم المزايا الأدبية والروحية ؟ هذا هو السؤال الذى يحتاج الجواب عنه إلى شئ من الإفاضة أو شئ من الإسهاب ! أما نحن فقد تناولنا هذا الموضوع يوما بالتحليل والعرض وكان ذلك منذ سنوات ثلاث ، حيث قدمنا إلى القراء تلخيصا أمينا لتلك الدراسة النفسية المحلقة التى تضمنها كتاب سارتر عن بودلير .. ولا مناص من أن نعود اليوم إلى بعض ما قلناه بالأمس ، لأن هناك فريقا من القراء لم يطلع على هذا الكتاب أو هذه الدراسة ، ولأن هناك فريقا آخر قد فاته أن ينظر فيما قدمناه من عرض لها وتحليل .. وكلا الفريقين يستطيع فى ضوء هذه العودة التى تطوى بها الأعوام أن يفتح باب المعرفة من جديد ؛ معرفة رأى الكاتب الفرنسى فى مواطنه الشاعر وهو الرأى الذى يخالف به كل ما ذهب إليه النقاد !

من هو بودلير فى رأى سارتر ؟ إنه الرجل الذى كان يفتش عن الآلام فى كل مكان ، ويسعى إليها سعيا متواصلا يثور عليها آخر الأمر تلك الثورة السلبية العاجزة التى لا تدفع شرا ولا تدرأ خطيئة .. كان مثاليا بينه وبين نفسه ، ولكنها المثالية القاصرة على عالم الذهن وحده لا تكاد تتعداه . وهو فى « وجوده الذهنى » إنسان مترفع عن كل ما يخدش الكرامة ويشين الخلق ويهبط بالسمعة إلى حمأة الموبقات ، وهو فى « وجوده الواقعى » إنسان غارق فى لجج الإثم ضال فى متاهات الغى متخبط فى ظلام الوزر والمعصية ! يدعو إلى الشئ ولا ينفذه ، ويرسم الطريق ولا يسير فيه ، ويضع لحياته خط سير هو أول المنحرفين عنه والخارجين عليه .. يحب الوحدة ويتوهم أن فى ظلالها راحة نفسه ونعيم دنياه ، ولكى يظفر بها فلا بأس من أن ينفر منه الناس وأن ينفضهم فيه ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بأن يرى شخصه بأقبح التهم وينعت خلقه بأشنع النعوت ، ولا ضير من أن يشيع عن نفسه أنه قتل أباه وانحدر من الشذوذ الجنسى إلى أدنأ بؤره وأحط مهاويه .. كل هذا ليحقق لنفسه تلك الوحدة المنشودة التى يخلو فيها إلى هواجسه بعيدا عن الناس !

ومع ذلك فما أكثر ما يضيق بهذه الوحدة ويفزع من أشباحها الرهيبة ويفر من ظلالها الخانقة ! وهو ، ذلك المخلوق الذى يسمو « بأفكاره » إلى مدارج العلاقة الجنسية النظيفة ، تراه يهبط « بأعماله » إلى أقذر ما يمكن أن تلحقه تلك العلاقة بإنسان .. تراه يتصل بإحدى الماهرات ذلك

الانفصال الشائن الذى يخرج منه بأخبث الأمراض وأفدح العلل ثم لا يحـاول أن يقصد إلى طبيب ليلتمس لجسمه المنهك ، أى وسيلة من وسائل البرء والشفاء ! وهو، ذلك الرجل العاجز عن تصريف أموره ، المشـلول الإرادة فى معركة الحياة ، يسعى عن طيب خاطر إلى من يشرف عليه ويرعاه ؛ حتى إذا وجد « مجلس العائلة » أو مجلس الوصاية ليشرف على هذا الرجل الذى يفر من المسئوليات الضخام وغير الضخام ، تراه يثور على هؤلاء « الجلادين » الذين يذيقونه الذل ويسومونه سوء العذاب ! هو ، ذلك الفنان الذى كان يتطلع إلى أن يظفر بمكانه بين الأعلام من أعضاء الأكاديمية الفرنسية ، تراه يعبر كل درب يمكن أن يباعد بينه وبين المكان المرموق . و أعجب العجب أنه كان ينشد من كل قلبه مثل هذا الإخفاق ! وهو ، ذلك الشاعر الذى يخرج للنـاس يوما ديوانا من الشعر يطلق عليه « أزهار الشر » ليقف بسببه فى ساحة القضاء . ترى أ كان يهدف من وراء هذا الشعر إلى مؤازرة الذين ينادون بمذهب « الفن للفن » أم كان يهـدف إلى شئ آخر تتردد أصداؤه بين جنبيه وترسب فى قرار سحيق ؟ أغلب الظن أنه كان يحب أن يكون منبوذا من الناس تلاحقه اللعنة فى كل عمل من أعماله الأدبية والإنسانية .. وإلا لما تعمد أن يطالع الناس بهذا الشعر الذى عرضه للادانة من جانب القضاء الفرنسى ؛ وهى إدانة مادية ومعنوية !

هو إذن فى رأى سارتر رجل عاجز مضيع يحرك يديه فى شتى الاتجاهات ليثير من حوله الزوابع والأعاصير ، حتى إذا هبت عليه من ناحية وعصفت بكيانه وزلزلت وجوده وقف حيالها مكتوف اليدين .. رجل عاش ولـكن لم يستطع أن يفسر لنا تلك الحياة التى عاشها ولا أن يكيف لنا هذا الوجود الذى خلق فيه ! رجل كون مزاجه بنفسه واختار مصيره برضاه ، ثم خانته القدرة على أن يخرج من أخطائه وآثامه بمذهب يحدد ذاتيته فى زحمة الوجود أو يبرر مكانه فى غمار الحياة ! هذه الشخصية العجيبة الغريبة المتقلبة تحتاج إلى مفتاح يعالج أبوابها المغلقة على فنون من الطلاسم والأسرار . وليس هناك من كاتب غير سارتر يقدم إلينا هذا المفتاح .

بودلير الذى كان يفتش عن الآلام كان يريد أن يتعذب والدليل على ذلك يمكن أن يستخلص من أخباره وآثاره ؛ أخباره الخاصة وآثاره الفنية ، ولا عجب فى ذلك من رجل كان يقول عن نفسه ويردد ما يقـول : « أنا الجرح وأنا السكين » ! .. كان يسعى إلى صهر روحه فى بوتقة الألم والعذاب ، وكان يحلو له أن يتأوه كلما أحس فى نفسه حاجة إلى الثورة . كان يبغى أن « يضطهد » نفسه ليكون اضطهاده لنفسه عقابا لها ؛ عقابا على عجزه وضياعه وما اقترف فى حقها من أخطاء وآثام ! أ كان ذلك من جانبه لونا من العقاب الذاتى الناتج عن تغلغل النزعة الدينية المسيحية بين جوانحه كما ذهب إلى ذلك معظم النقاد ؟ إن سارتر ينبذ هذا التفسير المتهافت الذى لا يستطيع أن يقف على قدميه ؛ لأن هناك أدباء أشربت نفوسهم تلك النزعة الدينية منذ المولد وخلال النشأة والتربية ثم ساروا ردحا من الزمن فى نفس الطريق الشاذ الذى سار فيه ، ومع ذلك فما أبعد الشقة بينهم وبين بودلير فى لقاء الحياة بمثل ما لقيها به من عقبات للنفس واضطهاد للذات !

إن المشكلة إذن ليست مشكلة تلك النزعة الدينية من قريب ولا بعيد ، ولـكنها المشكلة التى تتمثل بمركب النقص ومركب التعويض .. رجل كان يشعر فى أعماقه أنه لا وجود له أو أن وجوده كان أشبه بالعدم ؛ ومن هنا راح يلتمس شتى السبل ليقنع نفسه أو ليخدعها بأنه موجود . وهذه الخطوط المتنافرة التى كانت تحدد اتجاهات مصيره فى الحياة تعود آخر الأمر لتلتقى فى نقطة ارتكاز « وجودية » عمادها الـكبرياء .. كبرياء الذات المهزومة !

ما أشبه جوانب الشخصية البودليرية بعدد من « الغرف النفسية » التى تفتحها كلها بمفتاح واحـد : غرفة للألم ،

وتسلمك هذه إلى غرفة أخرى للعذاب ، وتسلمك هذه إلى غرفة ثالثة للعقاب ، وتسلمك هذه إلى غرفة رابعة للسخط والثورة ، وتسلمك هذه إلى غرفة خامسة للكبرياء .. نعني أنه رجل يريد أن « يجد » نفسه لأنه تائه مضطرب، وهذا هو الطريق الذي سلكه ليصل إلى ما يريد : بحث عن ألوان الشذوذ حتى اكتظت بها حياته ، وحين تحقق له ما يبتغيه بدأ يتعذب ، ثم طاب له أن يتخذ من هذه المرحلة معبرا إلى العقاب الذاتي الذي يتيح له أن يتبرم ويثور ، وفي هذا تحقيق لكبريائه ، وجوهر تلك الكبرياء الموهومة آهة حانقة على المجتمع ساقطة على الوجود .. لتشعره بينه وبين نفسه بأنه موجود !

هذه هي خلاصة رأي سارتر في شارل بودلير ؛ خلاصة تلك الدراسة النفسية التي ترفع السجف الدلاة على نوافذ هذه الشخصية المنائة ، ليندفع الضوء إلى شتى الجوانب والأركان .. وارجع بعد ذلك إلى كلمة الكاتب الأمريكي التي تفوح منها رائحة الاتهام ؛ اتهام سارتر بأنه قد تجنى على مواطنه الشاعر . ارجع إليها لتدرك الفارق البعيد بين نظرتين في الحكم على بودلير : نظرة عابرة عند إليوت تؤثر الوقوف على السطح دون أن تتغلغل إلى الأعماق، ونظرة متأنية عند سارتر تميل بطبيعتها إلى رفع الحجب لتنفذ إلى ما وراء المجهول !

حول الأدب الفرنسي بلزاك

في العدد الماضي من الرسالة مقال عن القصاص الفرنسي بلزاك ، وهو تلخيص بقلم الأستاذ على كامل لكتاب ألفه الكاتب النمسوى ستيفان زفايج .. إنه تلخيص موفق على الرغم من أننا نود أن نضيف إليه أشياء وأن نعترض فيه على أشياء ! إننا نعترض مثلا على قول الأستاذ بأن « بلزاك كان يتأنق في فنه ويعيد تصحيح ما كتب بعد إرساله إلى المطبعة عدة مرات ، حتى ضج منه الناشرون إلى درجة أن قاضاه بعضهم من أجل ما يتحملون من نفقات ، نتيجة تصحيحاته وتغييراته التي لا تنتهي » .. صحيح أن بلزاك كان كثير التصحيح والتغيير لما يكتب ، كلما بعث إليه الناشرون بالـ « البروفات » بقصد الاطلاع والمراجعة ولكن هذا لا يفسر بأن بلزاك كان يميل إلى التأنق شأن كتاب الصنعة البيانية .. لقد كان أبعد الناس عن التنميق والتزويق لسببين : أولهما أنه كان كاتبا مكثرا إلى حد لم يعرفه تاريخ الأدب الفرنسي في يوم من الأيام ، ومثل هذا اللون من الإكثار لا يتيح لصاحبه أن يحتشد للتعبير أو يتأنق في الصياغة . أما السبب الآخر فهو أن بلزاك كان رائد « الواقعية » الأول في عصره وهو العصر الذهبي للرومانسية ، ومن طبيعة الكتاب الواقعيين أنهم يضيقون بتلك الأساليب الرقيقة الحالمة التي لا تناسب غير أجواء الخيال .. كان بلزاك يمثل الأسلوب الواقعي في الكتابة مبتعدا عن تلك « الحذلقة » اللفظية التي كان يزهى بها كاتب مثل تيوفيل جوتييه ، ذلك الرومانسي الحالم الذي كان يضم بلزاك إلى قائمة الكتاب الصحفيين ! لم تكن كثرة التصحيح والتغيير إذن عند الكاتب الفرنسي نتيجة الميل إلى التأنق وإنما كانت نتيجة السرعة التي يفرضها الإكثار .. كان يكتب ويكتب ويكتب وهو غارق في أفكاره تائه بين أوراقه ، لا يكاد يشعر بأي شيء - وله غير إبريق القهوة الذي كان بالنسبة إليه قبسا من أقباس الوحي والإلهام ! وحين ينتهي من الكتابة ويلقي نظرة إلى أكداس الورق التي سطرها منذ حين فلا يجدها بجواره ، يدرك بمألوف عادته أن عامل المطبعة قد حضر وجمع الورق وانصرف حلال تلك الغيبوبة العبقرية .. وحين تعاد إليه « البروفات » لا يجد بدا من أن يتناولها بالتعديل والتبديل لأن السرعة الفائقة تكون قد أخرجت هذه العبارة عن خط اتجاهها الفكري ، أو انحرفت بتلك عن طريقها النفسي الذي يريد لها أن تسير فيه ، عند رسم نموذج من النماذج البشرية أو نقل مشهد واقعي من مشاهد الحياة !

هذا شئ وهناك شئ آخر ، وهو قول الأستاذ فى موضع آخر من تلخيصه لكتاب زفايج : « وما كانت صداقته بعد مدام دى بيرنى كصداقته لدوقة ابرانتيز ومدام ريكامييه ومدام زولما كارو ودوقة كاسترى ثم أخيرا مدام دى هانسكا إلا تطبيقا لتلك العقيدة التى كونها على ضوء حبه لمدام دى بيرنى ، وهو أن تكون المرأة له أما وشقيقة وصديقة وعشيقة فى وقت واحد » .. إن الذى نعلمه ونؤكده أن علاقة مدام ريكامييه ببلزاك لم تكن علاقة حب وإنما كانت علاقة إعجاب ، وأن مدام ريكامييه لم تعرف الحب الجسدى ولا العلاقة الجنسية فى يوم من الأيام ! وحسبها أنها قد عاشت عذراء وماتت عذراء ! صحيح أنها قد أحبت فى أواخر حياتها الكاتب الفرنسى شاتوبريان ، ولكنه الحب الروحى البرئ الذى يقتصر على أن يربط بين قلبين بروابط الود والصداقة .. ولكم حاول نابليون أن يظفر بها عشيقة فما استطاع ، ولكم حاول شاتوبريان أن يظفر بها زوجة فما استطاع ، وكل هذا يؤكده تاريخ حياتها الذى سجلناه فى كتابنا « نماذج فنية » ! إن كل ما كانت تحمله مدام ريكامييه لبلزاك هو الشعور بالإعجاب، ولقد كانت بداية هذا الشعور يوم أن قدم إليها قصته الرائعة « المرأة ذات الثلاثين » .. كان بلزاك يومئذ يصعد أول درجة فى سلم المجد الأدبى فاستطاع أن يصعد الدرجة الثانية ، حين قدمته مدام ريكامييه هو وقصته إلى صاحب « عبقرية المسيحية » تقديما يحفل بالتقدير ويزخر بالثناء ، ولم يخب ظنها فيه وهى تقول عنه لشاتوبريان إنه عبقرى وموهوب !

وبقى شئ ثالث وهو قول الاستاذ بأن قصة « لويس لامبير » هى أقوى وأعمق ما كتب بلزاك .. إن الذى نعلمه ونؤكده أيضا على ضوء قراءتنا المتواضعة وعلى ضوء تقدير النقاد ، أن قصة « الأب جوريو » هى التى يمكن أن توضع فى المكان الأول ثم تليها بعد ذلك قصة « أوجينى جرانديه » ، وإن كان دستويفسكى قد خص هذه القصة الأخيرة بالحب والإعجاب وقام بترجمتها إلى اللغة الروسية وتتلمذ عليها فى بدء حياته الفنية .. وبمناسبة الحديث عن هذه القصة نود أن نقول للأستاذ على متولى صلاح إن « أوجينى جرانديه » لم تكن « بخيل » بلزاك كما ورد فى مقاله بالعدد الأسبق من الرسالة ! إن «أوجينى جرانديه » لم تكن رجلا وإنما كانت امرأة ، ولم تكن بخيلة وإنما كانت فتاة على شئ غير قليل من كرم النفس وسخاء اليد ، وكم لقيت فى سبيل ذلك من أبيها «البخيل» ألوانا من الظلم والقهر والاضطهاد .. إن البخيل فى قصة بلزاك هو مسيو جرانديه ، أما أوجينى جرانديه فهى ابنة البخيل كما تشير إلى ذلك قصة الكاتب الفرنسى !

أنور المعداوى

مسرح وسينما

غروب الأندلس

تأليف : الأستاذ عزيز أباظة
إخراج : الأستاذ فتوح نشاطى
تمثيل : الفرقة المصرية

للأستاذ على متولى صلاح

كان خيرا كبيرا لو عرضت هذه المسرحية على الناس قبل حركة الانقلاب لا بعدها ، إنها كانت تكون عندئذ « سابقة » لأوانهـا وليست « بعد » أوانها كما هي اليوم، فهي تصور الفساد الذى استشرى فى دولة العرب بالأندلس والانحلال الذى دب فى أوصالها مما يشبه إلى حد كبير الحال التى كانت بمصر قبل الانقلاب . ولو أنهـا عرضت قبل هذا الانقلاب لكانت إرهاصا له أو عاملا من عوامله، ولكان لعرضها شأن غير الذى لهـا اليوم ، ولكن القطار فاتها !

كنا نود جاهدين أن نسمع — والملك فى أوج طغيانه وجبروته — من يقول : —

الملك يلهو والحوادث حوله   متظاهرات والخطوب سراع
والقصر تفهق بالخنا قاعاته   ويبيت يروى إثمها ويذاع
والحكم فوضى .. لبه وقوامه   ذمم تسام ـ رخيصة ـ فتباع

وكنا نود جاهدين أن نسمع أن الملك المطلق السنان يقول لأمير الجيش عن الجيش : —

هو جيشى ألست مولاه ؟ ؟ فيجيبه أمير الجيش فى كبرياء بقوله : —

كلا ... ليس مولاه من سقاه السماما
واجتبى الناشقين منه الأذلين ونحى أبطاله الأعلاما

وكأنما الشاعر كان يطل على نافذة الغيب فيعلم ماقيل تماماً بعد أيام معدودات ! . . ولا أدرى سبب ذلك الإهمال والشاعر يؤكد أن الرواية كلها كتبت قبل يوم ٢٣ يوليو الماضى !

أما أن تعرض هذه المسرحية التى تصور « الغروب » بعد أن يبدأ عندنا « الشروق » — وأعنى به طبعاً حركة الانقلاب ... فقد جعل المسرحية ظلا للحركة الكبرى التى يعيش الناس فيها ، أو صدى للصوت القوى الذى يملأ أسماعهم ، ومن وجد البحر استقل السواقيا !

على أن المسرحية لم تخل — على الأقل — من تعديل كبير أملاها بعد حركة الانقلاب أريد به « تمييز » بعض الحوادث ، والإشارة إلى مايزحم قلوب الناس من عواطف ؛ فالأستاذ المؤلف مثلا كان قد ألف مسرحيته « شجرة الدر » عام ١٩٥١ م وقال فيها موجهاً الكلام إلى « أقطاى » أمير الجيش بصريح العبارة :

... ولكن السياسة مهنة   إزاولها جيش هوى وتحطما
«أقطاى» دع مالست تحسنه إن   عرك الأمور وساسها فتعلما

فإذا به اليوم فى مسرحية « غروب الأندلس » يجعل « أزبك » أمير جيش مصر يقول عنها — فيما سمعناه من الممثلين — بصريح العبارة :

إذا أهل السياسة ضللوها   فإن الجيش يهديها السبيلا !!

وليته لم يفعل فإن الفن يجب أن يحتضن الحقيقة المبذولة بين أيدى الناس ويسمو بها ويكون أبعد منها شأواً . لا أن تحتضنه الحقيقة بين جناحيها وتجعل منه — كما قلت — ظلا أو صدى لها

وأنا أقرر — قبل أن يتشقق الحديث — أن الأستاذ عزيز أباظة شاعر من أكبر شعرائنا ، وأن الأمل المرجو منه كبير ، ولكننى لا أتحدث عنه شاعراً وإنما أتحدث عنه مؤلفاً مسرحياً ، وليس الشعر — كما يعلم القراء — غاية فى المسرح وإنما هو وسيلة ، والوسيلة التى

لا تصل بصاحبها إلى الغاية ، أو التي تكون حائلاً بينه وبين الوصول إلى هذه الغاية ، أو التي تستنفد كل جهده فينبت من الوصول إلى الغاية ، وسيلة يجب تحطيمها . والمسرح اليوم يقوم — في العالم كله — على نظرية «الحائط الرابع» فما هذه النظرية وما أصلها ؟ أصل هذه النظرية افتراض أن الشاهد عند ما ابتاع تذكرة الدخول إلى المسرح أخذ على مؤلف المسرحية عهداً بأن يعرض عليه جوانب من الحياة كما هي لا كما يتخيلها الفنانون ! ... إن الشاهد الحديث رجل فيه فضول كثير ، إنه يريد أن يستطلع أحوال الناس وأخبارهم ، فهو ينظر إلى خشبة المسرح نظره إلى غرفة حقيقية في منزل حقيقي بها ناس حقيقيون يناقشون مسائلهم الحقيقية ، وليسوا ممثلين مهرة يزيفون له الحياة ويجملون الخيال حقيقة ، فيجب إذن أن يزول ما بينه وبينهم من حائط يحجبهم عنه ، ذلك الحائط الذي يحول دون رؤية ما يقع في بيوت الناس ، والذي نسميه نحن الستار ! فإذا ارتفع فقد ظهرت الحياة حقا وصدقاً ! ظهرت مناظر حقيقية وإضاءة حقيقية وموضوع حقيقي أو في حكم الحقيقي ، وانه حقيقية مما تجري بين الناس فعلا في حياتهم العادية المألوفة

هذا هو المسرح منذ القرن التاسع عشر إلى اليوم ، منذ (هنريك إبسن) . (برنارد شو) ومن جاء بعدهما . فأين « غروب الأندلس » من هذا ؟

لقد صاغها الشاعر عزيز أباظة الشعر الجزل الرصين ولم يكن يستطيع إلا أن يصوغها بالشعر ؛ فالشعر فيه أصيل وطبيعة غلابة ولكن لمن صاغها بهذا الشعر الجزل الرصين؟ من من الشاهدين يقدر على فهم مثل قول الشاعر عن الإسلام مثلا : —

تكاد عراه في الجزيرة تنضوي وتنقد أشطان له وطنوب !

ومن من الشاهدين يقدر على فهم قول الشاعر في خطاب موسى إلى الملك مثلا :

إذا ند عنك اليوم بارح كيدهم فإنك مدروس غدا فتبير

وإن مطاياهم لتكرم وسقا فإن أبلغتهم جدلوها وعقروا

أو مثل أقواله (ولأنت من قوم إذا اناطر القنا) أو (هل كان إلا صدى ضعف خذلت له) أو (لآزروا الموت قعصاً) أو سوى ذلك وهو كثير وكثير

ولأول مرة نرى مسرحية تذيل صفحاتها بشرح لمعاني الكلمات الصعبة مما برئت منه حتى مسرحيات شوقي ! وإذا كان القراء وهم يقرءون في مهل وأناة ، وهم إلى ذلك الصفوة المختارة من الشاهدين ، فكيف بالشاهدين الذين يستمعون الأقوال وهي تمر بهم مربية خاطفة ، ثم هم أخلاط من الناس لا يشترط فيهم إلا أن يدفعوا ثمن تذكرة الدخول ؟ .. إن للشعر مكانه العالي في الغنائيات والملاحم وما إليها ؛ أما المسرح الذي يراد به تصوير الحياة والأحياء ، والذي هو مدرسة للناس جميعاً ، فليس لمثل هذا الشعر العالي فيه مكان . وإن كان لابد من الشعر في المسرح — وهو ما لا أراه — فليكن شعراً مخففاً ممزوجاً بالماء ، شعراً سهلا ميسوراً يفهمه الناس جميعاً ؛ لأن الناس جميعا يشاهدون المسرح أو يجب أن يشاهدوه ، ليكن من بحر « الرجز » دون سواه وهو البحر الذي يقابل تفعيلات « الأيامب » عند الأوربيين يوم كان لا يزال مسرحهم يقول شعراً ! أما اليوم فقد خفت صوت الشعر في مسرحهم خفوتاً كبيراً ولم يبق فيهم إلا مثل (ت . س . إليوت) وهو رجل متشائم حزين ضيق بالحياة يحن إلى يوم الخلاص منها يقول فيما يقول (نحن أشكال بلا قوالب ، نحن ظلال بلا ألوان ؛ نحن قوى مشلولة ، نحن إشارات بلا حركة .)

وأريد أن أدفع وهما قد يتبادر إلى بعض الناس من أن شهود جمهور الناس لمثل هذه المسرحية دليل على وعيهم وارتفاع مستواهم ، فهذا قول مردود ؛ لأن مثل هذه المسرحية — بما احتشدت به من العظات والخطب والحكم العوالي — إنما تخاطب في الناس غرائزهم الأولى وعواطفهم المجردة ، عواطفهم الدينية والوطنية والخلقية

وما إلى ذلك ، إنهم لا يتعمقون فهمها واستكناه بواطنها ولكنهم يفهمونها فهما عاما كله ضباب وظلام ، إنهم يرقصون من جرس ألفاظها كما يرقص الزنوج تماما على دقات الطبول ، وليس هذا من وظيفة المسرح في شيء !

والمسرحية تدور حول الأيام الأخيرة لدولة العرب في الأندلس ، وليس فيها موضوع متصل يسرى فيها وينفخ الحياة في جوانبها ، ولكنها صور متلاحقة متتابعة — وإن كانت قليلة إلى جانب ما يكتنفها من كلام كثير — تتعاقب وتترى كما تقلب تماما صفحات من كتاب في التاريخ .. الأميرة « بثينة » تغرى الأمير « يحيى » بإطلاق السجناء من ذويها ، فيطلق الأمير هؤلاء السجناء ، ثم يجتمع هؤلاء الطلقاء ويجنحون إلى « بنى سراج » فينضمون إليهم ، ويتكافون على الملك ، ثم يعتزل الملك ملكه ؛ ثم يتولى ابنه ؛ ثم ثم ثم الخ ؛ وتنسدل الستارة في نهاية كل فصل ببيت من طراز الخطب المنبرية التي تصفق لها الجماهير طويلا، فينتهى الفصل الأول — مثلا — بقول الشاعر :

من لم يدعم بالأسنة ملكه والحزم ... بات مفزعا لم يدم !

وينتهى الثاني بقوله :

فإن تدر الأقدار فالصبر جنة وإن تكبر الأحداث فالله أكبر!

وينتهى الثالث بقوله :

واضيعة الإسلام إن لم تقهروا أهواءكم ... واضيعة الإسلام

وهكذا تمضى المسرحية وكأنها ديوان شعر ، فلا نرى موضوعاً ينبض بالحياة ، ولا نرى شخصيات قد رسمها لنا المؤلف رسماً تبدو ملامحه وقسماته في وضوح وامتياز ... لقد عالج شكسبير المسرحية التاريخية ولكنه استطاع في مسرحية « هنرى الرابع » مثلا إلى جانب الموضوع القوى أن يخلق لنا شخصية « فولستاف » الحية الممتازة التي تجمع بين الجد والفكاهة جمعا بلغ الذروة في كل منهما ، واستطاع في مسرحية « يوليوس قيصر » أن يخلق لنا شخصية « بروتس » الخالدة التي مافتئت تثير في النفوس عاطفة الانتقام .. ولكن شخصيات عزيز أباظة شخصيات باهتة لا نعرف لها ملامح ولا قسمات ولم يلق الأستاذ عليها من الأضواء ما يجلوها للناس ، بل لم يلق باله إليها إطلاقاً وإنما كان كل باله إلى الشعر دون سواه ، على أن شاعرنا الكبير يقع في أمور كنت أود ألا يقع فيها ، فهو يقول « أخ الملك النوى » والصواب أن يقول «أخو الملك النوى» ويقول « ركبنا الهوى والأثام الشنيعا » يريد الإثم ، وليس الأثام هو الإثم وإنما جزاء ذلك الإثم والله يقول « ومن يفعل ذلك يلق أثاماً » وغير ذلك مما لا يجوز من شاعر كبير كالأستاذ عزيز أباظة .. ولو أن الأستاذ عنى بمحادثة الغرام الحقيقى بين بثينة ومحمد بن سراج والغرام الوهمى بينها وبين الأمير «يحيى » لجعل منه مسرحية ، ولو اختزل شيئاً من حوادث التاريخ واستبدل به صورة حية أو صورتين تنبضان بالحياة لخلق لنا مسرحية ، ولكنه لم يفعل ! وأشهد لقد أنفق الممثلون مجهوداً جباراً شديداً . ولقد كنت أشفق على « أمينة رزق » وهي تبذل من ذات قلبها ومن ذات نفسها لتنفخ الحياة في دورها واستطاعت ذلك إلى حد كبير رغم العقبات اللفظية التي كانت تنوء بحملها ، وأشهد لقد استطاع « فؤاد شفيق » واستطاع « حسين رياض » أن يلونا كلامهما ويملآه بالحياة والمعانى ، وقد كان دور ثانيهما مما لا ينبض به إلا أولو العزم . أما « فردوس حسن » فقد كانت جامدة كالتمثال وتأبى إلا أن تكون أميرة في كل الأوقات! ونسيت أنها كانت تقوم بدور العاشقة المخادعة الخاتلة!

وبعد : فهذه كلمة عابرة في مسرحية « غروب الأندلس » وليس الذى سقناه فيها بمانع أن ننوه بما ينفق الأستاذ عزيز أباظة من جهد حميد للشعر والأدب ، ولكننا نريده المسرح أيضاً . إن الشعر أفضل ما فيه ، فهل يجمع إليه الفن المسرحى الذى هو اليوم جماع الفنون جميعاً ؟ وعند ذلك تسقط حجتنا ولا نستطيع أن نقول له يومئذ ما نستطيع أن نقوله له اليوم من أن إلهة الشعر قامت عن ميامنه ولكن ربة المسرح لم تقم عن مياسره ؟

على متولى صلاح

آراء وأنباء

إلحاقاً بكلمتى المنشورة بالعدد ١٠١٦ عن الأدب المصرى القديم والتى أشرت فيها إلى انقطاع الصلات الثقافية والحضارية بين شعب مصر اليوم وبين القدماء المصريين أسوق هذه الملاحظات الموجزة حول ما خاض فيه بعض الكتاب فى بعض الصحف اليومية من حديث عن الألقاب « الفرعونية » بمناسبة ما ثار حول إلغاء الألقاب من كلام :

ادعى بعض الكتاب الأفاضل أن لقب «سى» للرجل ولقب « ست » للمرأة هما من بقايا اللغة المصرية القديمة على ألسنة المصريين اليوم وأن هذين اللقبين كانا مستعملين ذلك الاستعمال عينه وبهذين اللفظين عينهما فى مصر الفرعونية

وعندى أن فى نسبة هذين اللفظين إلى اللغة المصرية القديمة كثيرا من النظر؛ فالمعروف أن لفظ « سى » هو تحريف لكلمة سيدى » العربية الصحيحة . وكذلك لفظ « ست » فهو تحريف لكلمة « سيدتى » على ماجرى عليه لسان العامة من اختصار الألفاظ بحذف بعض حروفها

ومما يدحض دعوى الفرعونية عن هذين اللقبين ذيوعهما فى جميع الأقطار العربية اليوم وبصفة خاصة فى المغرب : ولا أظن أن هناك من يزعم أنه كانت للفراعنة بالمغرب صلة من شأنها أن تحفظ على ألسنة أهله ألفاظاً فرعونية حتى اليوم؛ إنما هى ألفاظ عربية صحيحة وإن نالها التحريف الذى يصاحب اللهجات العامية دائما

هذا وإن لفظى « سى » و « ست » قد وردا فى نصوص عربية قديمة يحضرنى منها الآن البيت الذى رواه أبو العلاء فى رسالة الغفران على لسان ابن القارح يخاطب إحدى جوارى السيدة فاطمة الزهراء مستعينا بها على عبور الصراط :

ست إن أعياك أمرى - فاحمليني زقفونه

(وزقفونه أن يحمل الشخص شخصاً آخر وبطن المحمول إلى ظهر الحامل ويداه على كتفيه)

والواقع أن ورود هذين اللقبين فى كلام عربى قديم ، مضافاً إليه انتشارهما فى كافة الأقطار العربية لا فى مصر خاصة لهو مما ينفى عنهما شبهة الفرعونية التى لم يقم عليها — على أية حال — دليل مقنع

جمال مرسى بدر

الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها

أى ومن سعى فى إثارتها وعمل على إذكاء نارها وحمل لواء الخلاف بعد ما انطوى أعواما طويلة . وهو يريد من وراء ذلك نفعا شخصيا أو ماديا أو أن يظهر على مسرح الحياة بعد ما تخرج من أكرم دار على حساب هذه الحزازات القديمة

إن الأزهر ودار العلوم — منذ وجدت دارالعلوم — صنوان يعملان لغاية واحدة ويهدفان إلى هدف واحد وإن تفرقت بهما السبل قليلا . فهذه تسير بجوار ذاك

كان يكفى لإقناع إخواننا الأزهريين رد الدكتور حامد عبد القادر وهو رجل خبير منصف لا يتكلم إلا الحق . ولا إخال إلا أن إخواننا الأزهريين قد اقتنعوا بوجهة نظره وكان يكفى فى النقاش أن يوجه الأمر إلى ذوى الرأى فيردوه إلى نصابه . وأظن أنه ليس هناك داع لأن تثير كل هذه الإشكالات . وما الذى يضيرك أن يطالب محقون بحقهم وأن يسعى إخوان لك فى اللحاق بك والسير معك على قدم المساواة ؟

ومرة أخرى أقول : إن بيننا وبين الأزهر وشائج لا نريد قطعها ، وبيننا وبين إخواننا الأزهريين مودة لا نريد إفسادها ، وبيننا وبينهم صلات يستحيل أن

تنساها أو تجحدها . ومرة ثالثة أقول لك إن الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها

عمر عبد الرحيم الزيات

أحلام العصفور الأخضر

من خمس سنين أو تزيد طالعت بمجلة « الكتاب » عدد أكتوبر ١٩٤٧ م الخاص بذكرى شاعرى النيل والعروبة « شوقى وحافظ » طالعت مقالا لأحد كتاب هذا العدد يتعقب فيه الكاتب أمير الشعراء على عثراته الموسيقية . ومن جملة مآخذه عليه مأخذ فى قصيدة «النيل» ص ١٦٧ حـ ٤ . عند قوله

جار وترى ليس بجار لأناة فيه ووقار

لقد تنكب شوقى جادة الوزن العروضى فى التفعيلة الثالثة وفى التفعيلة السابعة من البيت والناقد على بصيرة فى نقده

واليوم تطالعنى الرسالة العدد « ١٠١٩ » بقصيدة للأستاذ (عواد) بعنوان « أحلام العصفور الأخضر » والقصيدة من « بحر المتدارك » ذلك البحر الذى أنشأ منه أمير الشعراء قصيدته الآنفة الذكر

ولقد أبى شيطان الأستاذ (عواد) إلا أن يعثر تلك العثرات التى منى بها أمير الشعراء وزيادة . وتفصيلا لما أجمل نبدأ قصيدته أو موشحه مقطعا مقطعا

لندع المقطع الأول فيوشك أن يخلو من العثرات ولكن على حساب ضرورات يبيح الوزن العروضى ومراعاته اقترافها

أما المقطع الثانى فقد عثر فيه قلمه عثرتين : الأولى فى التفعيلة السابعة من البيت الثانى وهو :

سيروح ويلثم وجنتها مسروراً والكون غناء

والعثرة الثانية فى كلمة « نشوان » فالإعراب يقتضى نصبها والعروض يحتم تنوينها والرسم الإملائى لا يدل عليهما

وفى المقطع الثالث عثرات ثلاث

الأولى فى التفعيلة الخامسة من البيت الثانى عند قوله (قد تحذوا . . .)

والثانية فى التفعيلة الثالثة من قوله (والوجد صلاة ودعاء)

والثالثة فى التفعيلة الثالثة من قوله (وتوسل صب وبكاء)

أما المقطع الرابع فعثرة واحدة فى أول تفعيلة من البيت الأول منه . وهى فى كلمة (همهمة ... ...) قد دار عليها مادار على أخواتها من قبل

ومع صادق تقديرى للأستاذ الشاعر فرجائى أن يقع منه نقدى أجمل موقع والسلام .

محمد محمد أحمد الناجى

ديك الجن

كتب الأستاذ محمد رجب البيومى بمجلة الثقافة الغراء العدد (٧٠٠) بحثا جيلا عن الشاعر العباسى المعروف « ديك الجن » وقد شعرت بعد قراءتى للمقال أن هناك سؤالا هاما لم يتفضل الأستاذ رجب بالإجابة عنه ، وهو لماذا سمى الشاعر بديك الجن ؟ وما علاقته بالديك ، تلك التى لم تغفلها على أثر فى قصة الشاعر ؟ ولعل الأستاذ البيومى وهو معروف باطلاعه الواسع على الأدب العربى حديثا وقديما يتفضل بالإجابة الشافية على صفحات الرسالة التى تشرق علينا دائما بأبحاثه الطلية المفيدة .

محمود راشد الحنفى

الأستاذ سيد قطب

اضطر الأستاذ سيد قطب إلى الاعتكاف طوال الأسبوعين الماضيين بسبب وعكة مرضية شديدة والامتناع عن كتابة مقالاته فى الرسالة وغيرها من صحف العالم الإسلامى وقد تماثل الآن للشفاء ولكنه لا يزال فى دور النقاهة وفى حاجة إلى فترة راحة طويلة

أخبار أدبية وعلمية

مصر تلعب دورا هاما فى رقية القارة السوداء

من أخبار لندن أن فريقا من العلماء المشهورين فى الأبحاث والدراسات العلمية الحديثة عقدوا سلسلة من الاجتماعات أصدروا بعدها تقريرا قالوا فيه إن المدنية مهددة بخطر جسيم ولا سيما إذا خرجت الدول الكبرى من حالة ضبط النفس التى تسير عليها الآن لصون السلام العالمى. ولكنهم أجمعوا على ما يلى :

(١) أن إفريقية هى التى سترث المدنية الحديثة وإليها ينتقل مركز الحضارة كما كانت الحالة فى عهد الفراعنة الأوائل، وكان محتملا أن يشاطرها جنوب آسيا ذلك لولا الثورات التى قد تنشب فيها بسبب كثرة السكان وقلة الموارد وإصرار الدول الاستعمارية على الاحتفاظ بسيطرتها على عناصر تختلف عنها فى اللغة والدين والجنس

(٢) أن مراكز الصناعات الكبرى ستتحول بعد أى حرب مقبلة إلى الأماكن القريبة من موارد المواد الأولية وما زالت إفريقية قارة بكرا لم تستغل مواردها بعد ولهذا ستنتقل إليها مراكز الصناعات الكبرى فى العالم

ونشرت جريدة نيوزكرونيكل مقالا لأحد هؤلاء العلماء هو السير فيليب منشل السياسى العالم الرحالة الكبير عن دراساته فى إفريقية ومجاهلها البعيدة عن العمران، وكان عنوان مقاله « أفريقية فى سنة ٢٠٠٣ أى بعد خمسين عاما قال فيه :

(١) فى هذه القارة أنهار عظيمة، ولها سواحل طويلة غنية بالمواد الأولية تشرف على المحيطين الأطلنتى والهندى. ومن العجيب أن يظل أكثر سكان هذه القارة أميين إلى الآن وأن يهمل أمرهم إلى هذا الحد

(٢) فى هذه القارة ثلاث طبقات، إحداها ما زالت تعيش وكأنها فى عام ١٩٥٣ قبل الميلاد، والثانية تعيش وكأنها فى أول القرن الأول من الميلاد، والثالثة وهى القلة تعيش فى العصر الحاضر

(٣) تتداعى اللهجات الإفريقية بسرعة أمام اللغات الأوربية، الإنجليزية والفرنسية والبلجيكية والبرتغالية وسبب ذلك أنه ليست للهجات الإفريقية معاجم ولا كتب نحو ولا حروف هجائية وهى تختلف اختلافا كبيرا فى كل دولة أو مستعمرة واحدة، بل قد تكون فى الغابة الواحدة عدة لهجات متباينة

٤ — لاشك فى أن إفريقية ستزيد من إنتاجها ومطاراتها وسكك حديدها وموانيها وطرقها العامة الواسعة فى خلال النصف الثانى من القرن العشرين، فلا يبزغ فجر القرن الحادى والعشرين حتى تصبح إفريقية أهم وأعظم قارة فى العالم، ولاسيما إذا أدت الحرب القادمة إلى إحداث تخريب كبير فى أمريكا وأوربا وآسيا .

٥ — إذا لم تحدث حرب يدمر العالم الغربى بها نفسه فانه سيضطر رغم ذلك إلى تقصير المواصلات بين المنجم والمصنع ويستغل بمصانعه الجديدة الكبيرة فى إفريقية ما تحويه هذه القارة من ذهب ونحاس وأورانيوم واسبستوس (مادة مقاومة للحرائق) والكروم والحديد والفحم والخشب والشاى والسكر واللحوم، وإلى جانب هذا ستنشأ أسواق كبيرة ومراكز تجارية هامة، ثم تكثر الجامعات والمعاهد العلمية والهندسية والصناعية الضرورية لهذه الصناعات .

٦ — ستسترد الدول المتقدمة فى إفريقية، ولا سيما مصر نفوذها الدولى الواسع وتسيطر على القارة كلها بآدابها وعلومها وفنونها، إلى جانب إنتشار الثقافة باللغات الأوربية التى تدرس بها العلوم فى المدارس الحالية فى شرق إفريقية وغربها وجنوبها .

الإذاعة اللاسلكية والإحياء الديني في باكستان

قررت حكومة باكستان استخدام الإذاعة اللاسلكية الحكومية في مختلف المناطق والولايات التي تؤلف هذه الدولة الإسلامية الكبيرة لتعزيز الاحياء الديني وربط المجموعات الإسلامية التي تقطن شرق باكستان وغربها في روابط روحية وثقافية متينة، نبراسها الإسلام وتعاليمه الخالدة

وقد عقد مؤخرا مديرو محطات الراديو الباكستانية مؤتمرهم السادس في (كراتشي) وكان أمامهم جدول زاخر بالأعمال

وقرر المؤتمر إعادة النظر في البرامج الدينية بغية تقويتها وتنويعها واستنباط الوسائل الفنية لتقوية الوعي الديني في هذا البلد المسلم وجعله أشد صلة بالحياة اليومية والسلوك العام

وقرر المؤتمر كذلك خطوطا جديدة لمشروع واسع يرمي عن طريق الإذاعات اللاسلكية إلى التقريب بين مختلف اللهجات واللغات المحلية المتكلم بها في مختلف مناطق باكستان

صناعة الكتب المحلية

أحصت مجلة «الناشر الأسبوعية التي تصدر في أمريكا إنتاج الكتب للنصف الأول من العام المنصرم في الولايات المتحدة الأمريكية فوجدت أنه بلغ ٦١١٢ كتابا بالقياس إلى ٥٦٩١ كتابا للمدة نفسها من العام الذي سبقه

وقد نالت القصة النصيب الأكبر من هذا الإنتاج إذ بلغ عدد المنشور منها ١١١١ قصة

وجاءت كتب الأطفال في المرتبة الثانية فبلغ عددها ٥٠١ . وتلا هذين النوعين من الإنتاج المواضع التالية: أدب التراجم، التاريخ، علم الاجتماع والشؤون الاقتصادية. وقالت المجلة معلقة على هذه الإحصاءات: إن تجارة الكتب كانت رابحة في العام المنصرم ولكن مستوى الإنتاج العلمي والفني كان ضعيفا بالقياس إلى إنتاج الأعوام السابقة

مؤتمر التعليم الحر والإلزامي في بومباي

قامت اليونسكو برعاية مؤتمر إقليمي خاص بالتعليم الحر والإلزامي في منطقة جنوب آسيا والمحيط الهادي، انعقد بمدينة بومباي من ١٢ إلى ٢٣ ديسمبر الماضي، واشترك فيه حوالي أربعين خبيرا يمثلون أفغانستان وأستراليا وبورما وكامبوديا والهند واندونيسيا ولاووس وزيلاندا الجديدة وباكستان والفيليبين وتايلاند والفيانتام، كما ضم ممثلا عن دولة (النيبال) وإن لم تكن عضوا في هيئة اليونسكو، وممثلين عن فرنسا وهولاندا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية، وهي الدول المشرفة على بلاد غير مستقلة

وقد اعتبر هذا المؤتمر خطوة جديدة من اليونسكو نحو تعزيز التعليم الحر الإلزامي وتحقيقه في النطاق الاقليمي، وفق ظروف البلاد وأوضاعها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية واللغوية. وقعت هذه المهمة على عاتق المندوبين، فاستعرضوا أحوال بلادهم أمام المؤتمر، كما انقسموا إلى ثلاث لجان عنيت الأولى بالمشاكل الإدارية والمالية والتشريعية التي تتعلق بالتعليم الإلزامي. واهتمت اللجنة الثانية بمشكلة تدريب المدرسين ونظامهم الإداري، أما اللجنة الثالثة فتولت مناقشة برامج التعليم الابتدائي وتكييفها حسب ظروف كل بلد واحتياجاته الخاصة بكتب الدراسة وأجهزة التعليم

تعميم الثقافة الفرنسية كوسيلة من وسائل الدعاية

تقدر الحكومة الفرنسية أشد التقدير المكانة الهامة التي تحتلها الثقافة الفرنسية في سائر أنحاء العالم، وتحاول الحكومة الفرنسية أن تنتذى دعاياتها السياسية والاقتصادية عن طريق الدعاية الثقافية .

ومن أمثلة ذلك ما تقوم به المؤسسة الثقافية الفرنسية المعروفة باسم «جمعية نشر الثقافة الفرنسية» ومركزها الرئيسي في باريس . وتصدر هذه المؤسسة سجلا شهريا يحتوى على استعراض موجز لجميع الكتب والمجلات التي

تصدر باللغة الفرنسية لافى فرنسا وحدها وإنما فى سائر أنحاء العالم .

وهذه النشرة مبوبة بحيث تخصص لفروع الثقافة أبوابا خاصة . فباب يعالج الآداب ، وثان للترجمة وثالث للعلوم ورابع للشعر ، وخامس للدراسات الاقتصادية ، وسادس للاجتماعات . وهناك كذلك باب خاص يستعرض أنواع المقالات التى تصــدر فى مختلف المجلات الأسبوعية والشهرية والفصلية

وتطبع هذه النشرة فى عدد من اللغات الحية وتوزع على مختلف الشعوب بواسطة السفارات والبعثات الدبلوماسية فى الخارج .

مجلة للتربية الأساسية تصدرها اليونسكو باللغة العربية

أصدرت منظمة اليونسكو العدد العربى الأول من مجلة (التربية الأساسية) التى مازالت تنشرها منذ أكثر من عامين باللغات الفرنسية والإنجليزية والأسبانية ، وتعالج فى مقالاتها أهم مشاكل التربية الأساسية ، ووسائل النهوض بمستوى الأميين والشعوب المتخلفة عقليا واقتصاديا واجتماعيا حتى يصبحوا عروقا نابضة فى المجتمع الإنسانى .

ويقع هذا العدد الخاص فى ١١٥ صفحة ، تبدأ بمقدمة وافية بقلم الدكتور متى عقراوى مدير دائرة تبادل المعلومات فى التربية باليونسكو ، وتنتهى بقائمة بالمراجع العامة ، وتضم فى طيها طائفة من المقالات والبحوث التى تتناول فيها الخبراء العالميون تجاربهم وآراءهم فى التربية الأساسية ومكافحة الأمية . ونذكر من هؤلاء : الدكتور أحمد حسين .

واليونسكو إذ تنشر هذه المجلة باللغة العربية ، إنما تخطو بها خطوة جديدة نحو إفادة المختصين بالتربية الأساسية من الشعوب الناطقة بهذه اللغة ، وأمل المنظمة أن يقبل عليها أبناء العربية ، حتى يشجعوا على نشرها بصورة دائمة .

العثور على الحلقة المفقودة فى نظرية التطور

أعلن جون تلبوت روبنسون ، من أمناء متحف الترنسفال ، أنه عثر على بقايا خمسة من الهياكل تمثل نوعاً بدائيا جدا من الإنسان فى أولى مراحل تطوره ، وقد أسمى هذا النوع إنسان (تال انثروبس)

وقد اكتشف روبنسون هذه البقايا فى شفارتكرانز ، فى الترنسفال ، تقريبا فى نفس المكان الذى كشف فيه الدكتور روبرت بروم ، أستاذ انثروبولوجيا فى جنوب أفريقيا فى عام ١٩٥١ إنسان جنوب أفريقيا البدائى

ويقول روبنسون إن إنسان (تال انثروبس) أقدم نوع من الإنسان عثر عليه حتى يومنا هذا . وهو يمثل نوعا خليطا من إنسان جنوب أفريقيا البدائى وإنسان جاوه القديم المعروف باسم (بيثك انثروبس اركتاس) وإنســان الصين القديم (صين انثروبس)

ويقول روبنسون : إن إنسان (تال انثروبس) كان يعيش فى فترة سابقة للزمن الذى كان يعيش فيه إنسان جاوه بما يتراوح بين ربع مليون أو نصف مليون سنة . والمعروف أن تقدير العلماء للزمن الذى عاش فيه إنسان جاوه يتراوح بين نصف مليون أو مليون سنة مضت .

ويترتب على هذا الكشف العلمى الخطير أن ينتهى التمسك بالنظرية القائلة بأن الوطن الأول للانسان كان فى آسيا ، وإن كان من المحتمل أن الإنسان فى أفريقيا وآسيا تطور فى خطوط متوازية .

وأضاف قائلا : إن هذا الكشف يسد الثغرة المعروفة باسم «الحلقة المفقودة» فى سلسلة التطور الإنسانى على ظهر الأرض . ويتوقع أن ينتهى البحث ، بعد هذا الكشف الخطير ، إلى إكتشاف الحلقة المفقودة كلها .

وبهذا الكشف يقطع الطريق على كل النظريات المعارضة لنظرية التطور . وقد اتضح أن هذا الإنسان كان بدائيا



سفينة نوح بين العلم والسياسة

وصلت إلى تركيا مؤخرا بعثة من علمــاء الآثار الفرنسيين لمتابعة البحث عن «سفينة نوح» فى منحدرات جبـــال «أراراط» فى موقع يسمى (إكرى داك) تغطيه الثلوج . ويبلغ ارتفاع هذا الجبل حوالى ١٧٠٠ قدما. ويقع فى القسم الشرقى من شمال تركيا

وستقوم البعثة الفرنسية بجمع النماذج من العناصر التى تؤلف طبيعة الأرض هناك والمميزات «الطبيوغرافية» الأخرى التى يتخذها علماء الآثار عادة معاول لتتميم المعلومات التى توفرها لهم كتب التاريخ القديم وحوادثه المدونة

ويقع جبل أراراط فى صميم المنطقة التى وصفتها التوراة بأنها المكان الذى دفنت فيه زوجة نوح (عليه الصلاة والسلام) والبقعة التى زرع فيها سيدنا نوح أول كرم للعنب عندما انتهى به وبسفينته المطاف إلى ذلك الجزء من العالم كما تذكر التوراة ومفسروها

ويضم متحف اسطنبول نماذج من صخور جبل أوراراط حلل عناصرها بعض علماء طبقات الأرض وقالوا بأنها تؤيد النظرية القائلة بأن هذا الجبل كان فى فترة من الأزمنة القديمة مغمورا بالماء إلا من قمه العليا التى أسعفت نوحا (عليه الصلاة والسلام) فى أن يرسى سفينته على منحدرها عندما دهم الطوفان العالم كما تشير إلى ذلك كتب التاريخ القديم والمصادر الدينية . ويدعى هؤلاء العلماء بأن نوحا قد التجأ بسفينته ونماذجه البشرية والحيوانية إلى أعلى قمة الجبل ليبدأ من جديد فى تنمية الأجيال للبهائم ولبنى آدم

وقد سبق أن قامت بعثات أجنبية أخرى للبحث عن سفينة نوح فى منطقة جبل أراراط منها بعثة أمريكية أنفقت فى عام ١٩٤٩ وقتا وجهدا ومالا كثيرا دون أن تعثر على ما ترغب إثباته من حقائق تاريخية

ويؤكد علماء الآثار استنادا إلى المصادر اليهودية والمسيحية بأن السفينة كانت فى حجم هائل طولها ميل واحد وعرضها ٧٥٠ قدما وعلوها ٤٥٠ قدما

وجدير بالذكر أن تردد البعثات الأجنبية على جبال أراراط وتخومها القريبة من الحدود الروسية الجنوبية كان مثار احتجاج السلطات الروسية الشيوعية التى ادعت بأن الغرض من تكرار هذه الزيارات هو التقاط الإشعاعات الذرية التى تنبعث من محطات التجارب الذرية الروسية لتقدير مدى استعداد روسيا الذرى . ويدعى الروس أن هذه البعثات الأجنبية ليست مكونة من علماء الآثار والتاريخ القديم فحسب ، بل أنها تضم بعض خبراء الذرة العسكريين الذين يستعملون أجهزة خاصة تركب على أعالى جبال أراراط القريبة من الحدود الروسية فتلتقط أولا فأولا أشعاعات التجارب الذرية التى تنبعث من محطات التجارب ومصانع الإنتاج الذرى الروسى المنشأ بعضها فيما وراء جبال الأورال الروسية فى منطقة لا تبعد كثيرا عن الحدود التركية

وقد نفت المصادر التركية والبعثات الأثرية هذا التفسير الروسى

البعث الإسلامى فى تركيا

كتب الأستاذ برنارد لويس أستاذ تاريخ الشرق

جدا لدرجة أنه لم يكن يصنع أو يستخدم أية آلة حجرية لأنه لم توجد معه مثل هذه الأدلة الحضارية .

والمعروف أن «وبنون» كان يعمل مساعدا للدكتور بروم فى حفائره ، ثم تولى مكانه بعد وفاته .

وقد طار الدكتور كنيث أوكلى ، مدير المتحف الطبيعى فى لندن ، إلى جنوب أفريقيا ليساعد فى فحص الهياكل الجديدة

الأوسط فى جامعة لندن ومؤلف كتاب « العرب فى التاريخ » مقالا تحليليا فى مجلة « الشؤون الدولية » عن البعث الإسلامى فى تركيا . وكان الأستاذ قد أنفق مؤخرا بضعة أشهر فى تركيا يدرس عن كثب

يقول الأستاذ لويس إن نجاح القومية « الطورانية » فى تركيا إبان عهد أتاتورك لم يستطع أن تقضى على العناصر القوية فى تركيا التى كانت ولا تزال متملئة بفكرة القومية الإسلامية . ومما ساعد هذه العناصر الإسلامية على الاحتفاظ بقوتها الكامنة تأثرها بالأفكار التقدمية التى نشرها جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده والسيد أمير على وغيرهم من قادة الفكر الإسلامى الحديث فى الهند والشرق العربى

وقد وجدت هذه العناصر الإسلامية التركية نفسها مقيدة فى دعوتها إلى الوحدة الإسلامية فى أوائل عهد أتاتورك بسبب انكماش الامبراطورية العثمانية واقتصار سيادة الأتراك على الحدود الجغرافية الطبيعية لتركيا

ويعتقد البرفسور لويس أن أتاتورك وجماعته فى حملتهم على الإسلام وفصلهم بين الدين والدولة — هذه الحملة لم تكن فى مثل النجاح الذى يطيب للحكومة التركية أن تنشره فى الرأى العالمى . فى عنفوان السيطرة الأتاتوركية كانت الدولة التركية تتبع سياسة « إسلامية » فى المناصب الإدارية وفى الجيش « وكانت الحكومة التركية رغم صبغتها المدنية تتعمد أن تختار كبار المسؤولين فى المراكز الوزارية والعسكرية من الأتراك المسلمين . وقد ازداد هذا الاتجاه فى أواخر أيام أتاتورك عندما أقصيت عن المناصب الإدارية الهامة عناصر تركية غير إسلامية

وكانت حكومة أتاتورك تعامل الأقلية المسيحية من الروم الأرثوذكس المستوطنة فى الأناضول معاملة تختلف عن الأقلية العربية والكردية التى كانت تشارك الأتراك الطورانيين فى العقيدة الإسلامية وتشاركها مشاركة تامة فى الحقوق والواجبات المدنية

ولما توفى أتاتورك وزالت هيبته القاسية على الحياة الإسلامية فى تركيا نشطت العناصر الإسلامية هناك نشاطا ملحوظا . ففى سنة ١٩٤٠ اضطرت الحكومة التركية برئاسة عصمت أنونو أن تعيد إلى الجيش التركى نوعا من الحياة الدينية فسمحت لرجال الدين بأن ينضموا إلى الجيش فى شكل أئمة ووعاظ على نحو ما كان متبعا فى إبان العهد العثمانى

وفى نفس الوقت شرعت وزارة المعارف التركية فى ترجمة « دائرة المعارف الإسلامية » وزيادة موادها . وخصصت الوزارة لذلك مبلغا عظيما من المال كافأت به الكتاب والعلماء الأتراك الذين ساهموا فى الترجمة والبحوث والدراسات الإسلامية التى أضيفت إلى الطبعة التركية من دائرة المعارف الإسلامية »

ولكن العناصر الإسلامية من حفظة الدين لم ترض عن عمل وزارة المعارف التركية وانتقدت مشروع ترجمة « دائرة المعارف » على أساس أن واضعى هذه الموسوعة هم من خصوم الإسلام الأجانب الذين لا يقصدون خدمة الإسلام وإنما يهدفون إلى تفسيره تفسيرا يتلاءم مع أهدافهم كمبشرين ومستشرقين أجانب يخدمون الاستعمار الأوربى فى الشرق الإسلامى . ولم تكتف هذه العناصر الإسلامية بالنقد فحسب بل نشطت بزعامة الزعيم الدينى « أشرف أديب » لوضع موسوعة إسلامية أسموها « الإنسكلوبيديا التركية الإسلامية »

وصاحب هذا النشاط للعناصر الإسلامية التركية اتجاه جديد فى الحكومة التركية التى جاءت فى أعقاب أتاتورك — اتجاه أزال كثيرا من معالم الديكتاتورية التى اتصف بها عهد أتاتورك . ومن ثم توفر للعناصر الإسلامية فى تركيا فرصة ذهبية لمضاعفة حماسها فى بعث الحياة الإسلامية من جديد فى البلاد التركية

وفى سنة ١٩٤٦ نجحت هذه العناصر فى حمل البرلمان التركى على مناقشة مشروع التعليم الدينى الأزامى فى المدارس الحكومية . وبعد مناقشة وجدل فى البرلمان والصحافة والمحافل العامة والخاصة توصلت الحكومة التركية فى سنة ١٩٤٩ إلى سن مشروع يوفر لجميع المدارس حصتين فى الأسبوع للتعليم الدينى فى أصول الإسلام وفقهه وتعاليمه . وترك الخيار لآباء الطلبة فى حمل أبنائهم على المشاركة فى هذه الحصص الدينية . ولكن الأكثرية الساحقة من الآباء تحمسوا لتربية أبنائهم تربية إسلامية . وعلى أثر ذلك شرعت وزارة المعارف التركية فى تأليف الكتب الدينية لطلبة المدارس . وجدير بالذكر أن هذه الكتب وضعت فى قالب جديد يختلف اختلافا بينا عن كتب التدريس الدينية المستعملة فى مدارس الشعوب الإسلامية الأخرى

ثم خطت الحكومة التركية فى سنة ١٩٥٠ خطوة جديدة فجعلت التعليم الدينى فى المدارس الحكومية والأهلية إلزاميا لا يتقيد بمشيئة الطلبة وآبائهم

وكان من الطبيعى أن تخلق هذه المشروعات أزمة فى المعلمين الدينيين ؛ ولذلك أسرعت وزارة المعارف التركية بإنشاء معاهد خاصة لتخريج المعلمين الدينيين . والحقت بالجامعات التركية أقساما خاصة بالتعليم الدينى ولم تبخل بالمال على إنشاء المكاتب ونشر المطبوعات والكتب الدينية للعامة والخاصة . ثم سمحت باستعمال اللغة العربية فى الأذان وأخذت تذيع القرآن الكريم من محطات الإذاعة أسوة ببقية الشعوب الإسلامية الأخرى

وجدير بالذكر أن العناصر الإسلامية التقليدية فى تركيا أخذت تساهم فى الحياة السياسية مساهمة عملية . فناصرت هذه العناصر الحزب الوطنى على الحزب الديمقراطى (حزب الحكومة) . وذلك لأن الحزب المعارض كان يعد فى برامجه الانتخابية بمشروعات واسعة للبعث الدينى فى البلاد التركية

ويعتقد الأستاذ لويس أن موجة البعث الإسلامى فى تركيا لم تؤثر فى اتجاهات الشعب التركى نحو حلفاء الغرب ولم تؤثر بعد فى سياسة تركيا الخارجية . فبينما تقف الصحافة فى جانب العرب فى قضية فلسطين تقف الحكومة التركية فى جانب إسرائيل. وسبب ذلك أن زعماء الحركة الدينية فى تركيا جماعة تنتمى إلى العهد القديم المحافظ الذى لا يرضى عن الشيوعية السوفيتية ومطامعها فى البحر الأسود والقطاعات التركية المجاورة لروسيا .

ولما كانت الحكومة التركية تبنى سياستها نحو الغرب ونحو إسرائيل على أساس الخوف من التوسع الروسى، فان العناصر الإسلامية فى تركيا لم تعد تستطيع أن تثبت وجودها بتغيير سياسة تركيا نحو إسرائيل كما فعلت العناصر الإسلامية فى إيران بزعامة آية الله كاشانى .

ولكن برغم هذه التيارات السياسية التى تحد من نشاط العناصر الإسلامية فى تركيا ، وبرغم عشرات السنوات من السيطرة الأتاتوركية والحد من نشاط الإسلام فى الحياة التركية فان الأستاذ لويس يعتقد بأن جذور الإسلام فى تركيا أثبتت بأنها راسخة متمكنة لم تزعزعها الرياح والزوابع.

ولا يستغرب الأستاذ لويس أن يتطور هذا الاتجاه الإسلامى فى تركيا إلى وسيلة توفق بين مبادئ الدولة الحديثة وبين تعاليم الإسلام على نحو التجربة الهامة التى تجرى الآن فى باكستان .

طرائف وقصص

عروس البحر

للشاعر الهندي رابندرانات طاغور

كان شاباً فتياً ، في مرآه قرة العين ، وابتهاج القلب ، وغبطة النفوس …

وكان غرة قومه ، ووجه عشيرته ، يثنون له أعطافهم ويمهدون له أكنافهم ، ويؤثرونه بالحب والإيناس

وكان من حوله يستفزون نفسه الثائرة بأحاديث الزواج وما فيهـا للقلب من متعة ، وما في الطبع إليها من طمأنينة وارتياح

قال واحد من رسل الملوك إليه : «أما أميرة بهليك.. فما أجملها ! إنها لـكالباقة من أزاهير الربى في الربيع ! »

ولـكن الأمير الشاب أشاح بوجهه — وكأن لم يملق الحديث منه بشيء — وما أجاب

وقال آخر : « وتلك هي أميرة كندهـار . . زهرة أنيقة ، وضاءة بهية ، كمثل وضاءة العنقود النضيد ! »

ولـكن الأمير الشاب ينساب في الغابة لا يخرج منها إلا بعد حين …

وقال وصيف من سراى الملك — أبيه —: « ..جميلة أميرة كامبهوج جمال قوس قزح عنـد انبثاق أضواء الفجر وأنواره … وعيناها … وعيناها ناعسـتان حالمتان ، تلثمان الغمام قطر الندى الوضاء ! »

ولـكن الأمير الشاب يستغرق في كتابه تصفحا فلا يرفع عنه عينيه ولا يفيق !

* * *

واختلى الملك الوالد بنجى (١) ابنه وعشيره يسأله عما انحرف بابنه عن الزواج وبغضه إليه !

فقال سمير الأمير : « أيها الملك الجليل ، لقـد زهد الأمير في الزواج ما سمع عن عرائس الأمواه ، ولقد أقسم في سره لتكونن زوجه من عرائس البحر ، بنات الماء … »

وأراد الملك أن يعلم من أمر هذه العرائس شـيئا ، فاستدعى إليه أهل العلم وأرباب الحـكمة .. ولـكن أهل العلم لم يروا في كتبهم عن العرائس المزعومات شـيئاً ! إنما هاتيك العرائس : عرائس الخيال الموهومات..وكذلك قال رواد البحر من الهنود التجار !

فدعا الملك الشيخ إليه سمير ابنه يسأله عمن قص على ابنه هذا الخيال الموهوم ، فأجاب : إنه رجل يضرب في الآفاق مجنون … وقد سمع منه الأمير ما سمع في الغابة حين كان يصطاد !

فأرسل الملك أعوانه في البحث عن هذا المتشرد المجنون ليحضروه إليه … حتى وجدوه فجاءوا به إلى قصر الملك الفخم العظيم ! فسأله الملك عن مملـكة عروس المـاء أين تكون ؟

قال المجنون : إنها فيما يلي حدود الشمال من مملـكتك أيها الملك العظيم … وعند سفح جبل « شيتراهي » حيث تنبع بحيرة « كامياكا » …

فقال الملك : وهل يبصر المرء عرائس الماء هناك ؟

فأجاب الجائل المخبول : نعم ! في إمكان المرء رؤيتهن … ولـكنه لا يكاد يعرفهن لما يحطن به أنفسهن من إبهـام وغموض … غير أني أعرف العرائس الفاتنات بأصوات مزاميرهن الرائعة … أو بقبس من شعاع لحن وهاج !

(١) النجي الصاحب أو الصديق

فغضب الملك من هذا الهذيان وقال : « إنه لمجنون ! قد أصابه مس من حياة التشرد والتجوال فاطردوه »

غير أن الأمير كان قد أصغى إلى ذلك الهذيان الجميل … وقد علق بقلبه منه ما سمع ، فليس إلى طرده من سبيل …

* * *

وجاء الربيع يكاد سناحسنه يستلب العقول … وانبثقت أزاهيره في الغـابة تملأها حسناً وعطراً ! فركب الأمير جواده وخرج … فيسأله الأهل : إلى أين أيها الفتى النبيل ؟ إلى أين أيها الأمير الجميل ؟ ولـكن الأمير ساكت لا يجيب

السـيل يتدفق منحدراً من أعلى الجبل ثم ينصب في البحيرة فيفيض … وهناك ، هناك قرب الجبل في المعبد المهجور كان الأمير يقيم !

ومر شهر ، والأمير في معبده رتقب ، وفي الشـهر هذا اشتدت خضرة الزروع ، واكتست بوشاح من الزبرجد الزاهي الجميل !

وإن هذا الشـهر الجديد يكاد ينصرم .. والأمير في مكانه لا يريم !

وفي ليلة من ليالي هذا الشهر أصغى الأمير الشاب إلى صوت مزمار خافت يطرق أذنيه كالصدى النائي البعيد …

وفي اتجاه السـيل المنحدر إلى البحيرة الجميلة كان اتجاه الأمير … حيث كان مصدر الصوت الشعري الرخيم ؟

وهناك ، كانت تجلس بين أزهار « اللوتس » [٢] حورية من بنات البحر عرائس الماء المنشودات

إن شـعاعاً عبقاً كان ينبثق من زهرة من زهور « السـيرش » [٣] في مفرقها الجميل

* * *

فترجل الأمـير عن جواده ، ودنا إلى الحورية في استحياء وطلب منها تلك الزهرة الجميلة العبقة .. فرفعت رأسها ترنو إليه ثم سحبت زهرتها من شـعرها وقدمتها قائلة : « إنها لك »

ثم سألها الأمير : وأي ملـكة أنت ؟

فبدت على وجهها علامات الدهش والانكار ثم قهقهت في ضحكات متزنات كالأنغام .. كان لها رنين في قلب الأمير الشاب .. لقـد ظن الناس تلك الضحـكات مزامير . لشد ما يخطئون …

ثم ركب الأمير جواده ، وأردفها خلفه ومضى يحث السـيرا

وهما على ظهر الحصـان همس الأمير في أذنها أن اخلعى عنك النقاب .. واذكرى اسمك الـكامل

فأجابت : إن اسمي كاكارى … وأما القناع فما كان قد انـكشف كما أراد !

وهنا قال الأمير : وجهك … أرنيه … إنني في حاجة إلى استجلائه أيتها الملـكة الحسناء

ولـكنها قهقهت في ضحكات كالأولى كان لها في قلبه اللتاع وقع ورنين

ثم وصلا إلى المعبد القديم المهجور … فملئ الخبر وذاع ؛ وسمع الملك الشيخ بزواج ابنه الأمير فأرسل إليه الجند والخيل والفيلة والعربات ، في معبده المهجور

* * *

– واليوم يا « كاكارى » ستذهبين إلى القصر

ولـكنها لم تجبه ، ولـكن في عينيها كان الجواب . لقد كانتا دامعتين ، طافحتين بالدموع ، تستعبران ! لقد هاجتها الذكرى … وأثارت ما في نفسها من شجون

ثم قالت : « أنا لا أستطيع الذهاب … أيها الأمير المحبوب ! »

ولـكن ضوضاء القادمين وجلبتهم غلبت صوتهـا الخافض الضئيل ، وسارت إلى قصر الملك الفخيم

* * *

(٢) زهور هندية معروفة لم نجد لها في اللغة ترجمة !

(٣) ليس في العربية وصف كهذا ولـكن أمانة الترجمة اقتضت نقله ، على أن فيه معنى يدركه بعض الذين تيمهم الجمال

فرأتها الملكة فقالت : وأى أميرة هذه تكون ؟
ورأتها إبنتها فقالت : ياللعار ! !
ورأتها من وصائف القصر واحدة ، فقالت :
انظرن إلى رداء الأميرة الخلق ... لابأس عليها فإنها ممن لايحتجن إلى الثياب إذ أنها من عرائس الماء !
ولكن الأمير أسكتهن فى حنق وغيظ شديد :
« إن الأميرة قد جاءت متخفية فى هذه الأطمار ... »
ولكن أصوات الهزء إنخفتت فلم تنقطع ، أوانقطعت فإلى حين ، وكان الأمير إذا سمع ذلك يهيج ويغضب لأنهم لايشاركونه شعوره نحو هذه الأميرة إبنة الماء ؟ !
ومضت أيام : والأمير على ماوصفنا ، وأهلوه على ماذكرنا وزوجه على حالها لم تتغير ، ولم تلق عنها نقابها البنيض المكروه..
ولكن الأمير يؤمل وينتظر ، وهو الآن يكتفى بالأمل والانتظار . . .

* * *

وإنه لجالس مع « عروس البحر » يسامرها إذ سألها عن مدى لبس هذا القناع البنيض ؟ فقالت . « سيكون لذلك أيها الأمير مدى معلوم : ولكن تريث الآن»
فأجابها : إذن سيكون ذلك فى قمر الشهر المقبل أيتها الأميرة الحسناء ! !
إن قمراء [٤] البدر قد اكتملت وضوحاً وقوة ، فهى الآن تملأ البيد ، وتنسل الحقول . . . وتسيل على الأرض فتغطى كل مافيها . . . حتى تلك الغرفة ، وذلك السرير ! !
ولكن أين كاكارى . . . أين الأميرة إبنة « البحر الحسناء » ؟ !
... لقد غابت ، إذ رفعت عنها القناع ! !

ف . سهم

(٤) قمراء البدر نوره